تفسير

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ قالوا جميعاً: يعني الملائكة، وهو قول عبدالله ومسروق ومجاهد وقتادة ومقاتل[١].

قال ابن عباس: يريد الملائكة صفوفاً، لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله[٢]، وقال الكلبي: الملائكة صفوف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة[٣]. وذكرنا معنى الصف عند قوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦]. وهذا قَسَمٌ أقسم الله تعالى بالملائكة التي تصف[٤] نفسها صفاً.

---

(١) انظر: الطبري ٢٣/ ٣٣، والثعلبي ٣/ ٢٣٩ب، والماوردي ٥/ ٣٦، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٧.

(٢) انظر: الوسيط ٣/ ٥٢١، وزاد المسير ٧/ ٤٤.

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي. انظر: البغوي ٤/ ٢٢، والقرطبي ١٥/ ٣٦١، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٣.

(٤) في (ب): (تصفا)، وهو خطأ.

قال أبو إسحاق : أي هم مصطفون[١] في السماء[٢] .

وذكر أهل المعاني في القسم[٣] وجهين ؛ أحدهما : أن القسم بالله -عز وجل- على تقدير ورب الصافات كقوله : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ ﴿ وَٱلشَّمْسَ ﴾ ﴿ وَٱلَّيْلِ ﴾ إلا أنه حُذِفَ لما في العلم من أن التعظيم بالقسم لله .

والثاني : أن هذا على ظاهر ما أقسم به ؛ لأنه ينبئ عن تعظيمه بما فيه من العبرة الدالة على ربه ، وذكر أيضاً في التفسير أن المراد بهذا الصف أن الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة لأمر الله حتى يأمرها بما يريد[٤] . والصافات : جمع الصف ، يقال : جماعة صافة ثم يجمع صافات .

٢. قوله تعالى : ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ قال الليث : زجرت البعير فأنا أزجره زجراً ، إذا حبسته ليمضي ، وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر ؛ أي نهيته فانتهى[٥] .

قال الشاعر :

وليسَ يزجركمْ ما توعظونَ بهِ والبهمُ يزجرها الراعي فتنزجرُ[٦]

(١) هكذا في النسخ ، والذي في معاني القرآن للزَّجَّاج مطيعون .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٧ .
(٣) لم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش والفرَّاء والزَّجَّاج .
(٤) انظر : الماوردي ٥/ ٣٦ ، والقرطبي ١٥/ ٦١ ، وزاد المسير ٧/ ٤٤ .
(٥) انظر : تهذيب اللغة (زجر) ١٠/ ٦٠٢ .
(٦) البيت من البسيط ، وهو لسابق البربري .

فالزجر للإنسان كالنهي وللبعير كالحث ، ويقال : زجرته وازدجرته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر :٩] . قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ومقاتل : يعني الملائكة[١] .

قال ابن عباس : يريد ملائكة وكلوا بالسحاب يزجرونها ، ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل والسدي[٢] : إن هذا الزجر للسحاب في سوقه وتأليفه .

وقال أهل المعاني : الملائكة تزجر عن المعاصي زجراً ، يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف[٣] .

وقال قتادة : الزاجرات زواجر القرآن ، وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح المحظور[٤] .

٣. قوله تعالى : ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ قال ابن مسعود ومسروق ومجاهد ومقاتل : هم الملائكة[٥] .

قال ابن عباس : يريد ملائكة يتلون ذكر الله عز وجل[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ب ، وتفسير مجاهد ٥٣٩ . انظر : الطبري ٢٣/ ٣٣ ، والماوردي ٥/ ٣٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٥ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) لم أقف عليه في كتب معاني القرآن .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٧ ، والطبري ٥٣/ ٣٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٨ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٤ ، والماوردي ٥/ ٣٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٥ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

وقال مقاتل : هو جبريل يتلو القرآن على الأنبياء من ربهم ، وهو الملقيات ذكراً يلقي الذكر على الأنبياء[١] ، وعلى هذا المراد جبريل ، وذكر بلفظ الجمع إشارة إلى أنه كبير الملائكة ، فهو لا يخلو من أعوان وجنود له من الملائكة يعرجون بعروجه وينزلون بنزوله[٢] .

وقال السدي : هم الملائكة يتلون الذكر على الأنبياء[٣] .

وقال الكلبي : هو قراءة الكتاب[٤] .

قال أبو إسحاق :﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ جائز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلون ذكر الله عز وجل[٥] .

قال قتادة : (التاليات ذكراً) ما يتلى من آي القرآن[٦] ، وهذا يحمل على تفسير الذكر ؛ لأن التاليات لا يكون ما يتلى . وأما هذه الفاءات هاهنا وفي سورة الذاريات والمرسلات ، فالفاء في العطف تؤذن أن الثاني بعد الأول بخلاف الواو ، فإنه لا يدل على المبدوء به والفاء تدل كقولك : دخلت الكوفة فالبصرة ، فالفاء هاهنا تؤذن أن دخول الكوفة كان قبل دخول البصرة[٧] ، وفي هذه الآية يدل على أن الله تعالى ذكر القسم أولاً بالصافات ثم بالزاجرات ثم بالتاليات .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ب .
(٢) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٨٦ .
(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٤ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٠ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٤ .
(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٢١ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٧ .
(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٤ ، والماوردي ٥/ ٣٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٥ .
(٧) انظر : الكشاف ٣/ ٢٩٥ .

وذكر صاحب النظم أن الفاء هاهنا جواب وما قبله سبب له ، كما تقول قام فمر ، واضطجع فنام ، فالقيام سبب للمرور والاضطجاع سبب للنوم . وتأويل الآية : والتي تصف صفاً فتزجر زجراً ، فالصف سبب الزجر والزجر سبب التلاوة .

قال : ويدل على هذا قوله : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ [المرسلات :١-٢] ، ثم استأنف قسماً آخر منقطعاً مما قبله غير منسوق عليه بالواو فقال : ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ هذه الواو واو قسم ، وعلى ما ذكره يجب أن يكون الصافات والزاجرات والتاليات جنساً واحداً وعصبة من الملائكة اجتمعت فيهم هذه الصفات[١] ، ولا يجوز أن يكون الزاجرات غير الصافات[٢] ، وعلى ما ذكر أولاً يجوز أن يكون كل من الصافات والزاجرات والتاليات عصبة سوى الأخرى ، وهو ظاهر قول المفسرين .

وأما التاءات التي في الصافات والزاجرات والتاليات فإنها تقرأ بالإظهار ، وأدغمها حمزة في ما بعدها ، وهو قراءة عبدالله ، وإدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين ، ألا ترى أنها من طرف اللسان وأصول الثنايا ، ويجتمعان في الهمس ، والمدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصفير ، وحسن أن يدغم الأنقص في الأزيد ، ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص ، وإدغام التاء في الزاي حسن أيضاً ؛ لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة ، وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد ، وكذلك حسن إدغام التاء في الذال في قوله : ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ لاتفاقهما في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا . وأما من قرأ بالإظهار وترك الإدغام فذلك لاختلاف المخارج ، وأن المدغم فيه ليس بلازم ، فلم يدغموا لتباين

(١) في (أ) : (الصافات) .

(٢) في (ب) تقديم وتأخير هكذا : (الصافات غير الزاجرات . . .) .

المخارج وانتفاء اللـــزوم ، ألا ترى أنهم يثبتون نحو [أفعلَ][(١)] وإن كان من كلمة واحدة لما لم يلزم التاء هذا البناء ، فما كان من كلمتين منفصلتين أجدر بالبيان[(٢)] .

٤. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ جواب القسم ، قال ابن عباس : يريد نفسه لا شريك[(٣)] له .

وقال مقاتل : إن كفار مكة قالوا لمحمد : اجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فأقسم الله بهؤلاء الملائكة أنه واحد ليس له شريك[(٤)] .

٥. ثم[(٥)] نفســـه عن شركهم فقال : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من شيء من الآلهة وغيرها . ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ ؛ أي مطالع الشـــمس . قال السدي : المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب عدد السنة ، تطلع الشمس كل يوم في مشرق وتغرب كل يوم في مغرب[(٦)] . ونحو هذا قال قتادة في المشارق والمغارب[(٧)] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد ثمانين ومائة مشرق في الشـــتاء وثمانين ومائة مشرق في الصيف ؛ لأن الشـــمس في كل يـــوم تشرق من موضع غير الذي طلعت منه بالأمس[(٨)] .

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في النســـخ جميعها ، وما أثبـــت من الحجة : لأبي علي ؛ لأن الكلام قد يكون بنصه منقولاً عنها من قوله : وأما التاءات التي في الصافات . الحجة ٦/ ٤٩ ، ٥٠

(٢) انظر : الحجة ٦/ ٤٩ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٧٣ ، والحجة : في القراءات السبع ٣٠٠ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٥) هكذا في النسخ ، ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هناك كلمة ساقطة : ثم نزه نفسه .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٥ ، والماوردي ٥/ ٣٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٥ .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

(٨) لم أقـــف عليه عن ابن عباس وقد ذكره الماوردي في تفســـيره ٥/ ٣٧ ، وعن يحيى بن ســـلام ، وذكره هود بن محكم في تفسيره ٣/ ٤٤٤ ، ولم ينسبه .

وقال في رواية عكرمة : إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين[١] كوة تطلع في[٢] كل يوم في كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل[٣][٤] . وأراد المشارق والمغارب فاكتفى بذكر المشارق كقوله : ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل :٨١] .

٦. وقوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ قال ابن عباس : يريد التي تلي الأرض[٥] .

وقال مقاتل : إنما سميت الدنيا لأنها أدنى السماء من الأرض[٦] .

وقوله : ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أن يحسنها ، وقال ابن عباس : بضوئها[٧] . وعلى هذه القراءة المصدر يضاف إلى المفعول به كقوله : ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت :٤٩] ، ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص :٢٤] .

وقرأ حمزة (بزينةٍ) منونة وخفض الكواكب ، وهي قراءة مسروق والأعمش[٨] .

---

(١) في (ب) : (وستون) ، وهو خطأ .
(٢) (في) ساقطة من (ب) .
(٣) في (ب) : (القابلي) .
(٤) انظر : القرطبي ١٥/ ٦٣ .
(٥) لم أقف عليه .
(٦) تفسير مقاتل ١٠٩ب .
(٧) انظر : بحر العلوم ٣/ ١١١ ، والبغوي ٤/ ٢٣ .
(٨) انظر : الحجة ٦/ ٥٠ ، ٥١ ، والطبري ٢٣/ ٣٤٥ .

قال الفرَّاء : وهو رد معرفة على نكرة[١] . وقال الزَّجَّاج : الكواكب بدل من الزينة[٢] . وقال أبو علي : «جعل الكواكب بدلاً من الزينة ؛ لأنها هي كما تقول مررت بأبي عبدالله زيد» .

وقرأ عاصم بالتنوين في الزينة ونصب الكواكب[٣] . قال الفرَّاء : بتزييننا الكواكب[٤] .

قال أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون الكواكب في النصب بدلاً من قوله : ﴿بِزِينَةٍ﴾ في موضع نصب» .[٥]

وقال أبو علي :[أعمل][٦] عاصم الزينة في الكواكب ،والمعنى إنا[٧] زينا الكواكب فيها ، ومثله قوله : ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد :١٤-١٥][٨] . وهذا شرح ما ذكره الفرَّاء .

وقال [أبو علي][٩] صاحب النظم : «التأويل إنا زينا السماء الدنيا ؛ أي بتزييننا الكواكب وتزيين الكواكب ضوئها ونورها وتأليفها في منازلها[١٠]» .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٢ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨ .
(٣) انظر : الحجة ٦/ ٥٠ ، ٥١ .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٨٢ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨ .
(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .
(٧) في (ب) : (إن) .
(٨) الحجة ٦/ ٥٠ ، ٥١ .
(٩) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .
(١٠) انظر : القول في الحجة ٦/ ٥١ ، وغير منسوب لصاحب النظم .

٧. قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا ﴾ قال أبو إسحاق وغيره : وحفظناها حفظاً[١] .

قال المبرِّد : «إذا ذكرت فعلاً ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر ؛ لأنه قد دل على فعله ، وذلك قوله : افعل وكرامة ؛ لأنه لما قال افعل علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال ، فالمعنى افعل ذلك وأكرم كرامة ، وكذلك لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا هما ؛ أي ولا أكيد ولا أهم[٢][٣]» .

قال ابن عباس : يريد وحفظاً للسماء ﴿ مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ يريد الذي تمرد على الله[٤] .

وقال مقاتل : وحفظاً للسماء بالكواكب[٥] .

قال الكلبي : حفظاً للسموات من كل شيطان شديد متمرد ، يُرمون بها ولا تُخطيهم[٦] ، وذكرنا تفسير المارد عند قوله : ﴿ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة :١٠١] ، وقوله : ﴿ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج :٣][٧] .

٨. قوله تعالى : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ ﴾ المعنى لئلا يسمعون ، فلما حذف الناصب عاد الفعل إلى الرفع ، قال الفرَّاء : ولو كان في موضع (لا) (أن) لصلح ذلك كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء :١٧٦] . وكما قال :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨ .

(٢) في (ب) : (ولاهم) .

(٣) لم أقف على قول المبرِّد .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) قال في هذا الموضع من البسيط : المريد الذي يتمرد على الله عز وجل ، وقال أهل اللغة في المريد قولين ؛ أحدهما : إنه المتجرد للفساد ، والثاني : إنه العاري من الخير .

﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[١] . ويصلح في لا[٢] على هذا المعنى الجزم ، والعرب تقول : ربطت الفرس لا تفلت بالجزم ، وأوثقت عبدي لا يفرق[٣] ، وأنشد :

وحينَ رأينا أحسنَ الودِّ بيننا مساكنةً لا يقرِفُ الشر قَارِفُ[٤]

وبعضهم[٥] يقول : «لا يفرق والرفع لغة أهل الحجاز وبذلك جاء القرآن»[٦] . هذا كلامه ، ونحو هذا قال صاحب النظم .

ويجوز أن يكون هذا ابتداء إخبار[٧] عن الشياطين بأنهم لا يسمعون ، ولا يحتاج إلى إضمار شيء ، وذلك أنهم إذا منعوا عن السماء بالحراسة لم يسمعوا ، وهذا الوجه أبين على قراءة من قرأ بالتخفيف ، ومن قرأ بالتشديد لم يظهر هذا الوجه ؛ لأنهم يتسمعون ثم يمنعون بالرمي[٨] ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء : ٢٠٠-٢٠١] . واختار أبو عبيد[٩] التشديد في يسمعون قال : لأن العرب[١٠] تسمعت إلى فلان .

---

(١) جزء من آية في سورة النحل : الآية ١٥ ، ومن سورة لقمان : الآية ١٠ .

(٢) في (أ) : (ألا) ، وهو خطأ .

(٣) هكذا في النسخ ، والصواب كما في معاني الفرَّاء (يفرر) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لبعض بني عقيل في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٣ ، والكافية الشافية ١٥٥٦ ، والطبري ٢٣/ ٣٩ .

(٥) في (ب) : زيادة (لا) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٨٣ .

(٧) في (ب) : (إخباراً) .

(٨) انظر : الحجة ٦/ ٥٢ ، والحجة في القراءات السبع ٣٠٧ ، وحجة القراءات ٦٠٥ .

(٩) انظر : الدر المصون ٥/ ٤٩٥ ، والقرطبي ١٥/ ٦٥ ، وفتح القدير ٣/ ٣٨٧ .

(١٠) الكلام هنا فيه اضطراب ، ويظهر أن كلمة ساقطة لابد منها تُقدَّر تقول .

وقال صاحب النظم : قد يعدى السمع بإلى ، واحتج بقول الشاعر :

اسْمَعْ إلى من يَسومُني العِلَلا[١]

وقال أبو علي الفارسي : «يقال : سمعت الشيء واستمعته ، كما يقال حقرته واحتقرته ، وشويته واشتويته ، ثم يعدى باللام وإلى [كما][٢] قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ ﴾ [الأعراف :٢٠٤] ، وقال : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام :٢٥] ، وهذا كما تقول في الإيحاء والهداية ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل :٦٨] ، وقال : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة :٥] ، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام :٨٧] ، ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف :٤٣] ، ولا فصل بين فعلت وافتعلت في ذلك لاتفاقهما في التعدي»[٣] ، فإذا حسن استمع إليه حسن أيضاً سمع[٤] إليه . وأما وجه القراءتين ، فمن قرأ بالتشديد أدغم التاء في السين ، وهو أبلغ ، إلا أنه إذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم ، وحجة من خفف قوله : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء :٢١٢] . والسمع مصدر سمع ، وهذا الوجه هو اختيار ابن عباس ، روى ذلك عن مجاهد ، قال : إنهم كانوا يتسمعون ولا يسمعون ، يريد الشياطين ، يتسمعون إلى الملأ الأعلى ثم يمنعون ولا يسمعون فنفى السماع أولاً[٥] من نفي التسمع[٦] .

---

(١) لم أهتد إلى تمامه ولا قائله .

(٢) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٣) الحجة ٦/ ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) في (ب) : (استمع) ، وهو خطأ .

(٥) هكذا في النسخ ، والصواب : (أولى) .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٣٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٢١ ، وحجة القراءات ٦٠٥ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦ .

قال الكلبي : لا يسمعون إلى الملأ الأعلى لكي لا يسمعوا إلى الكتبة من الملائكة[١] .

وقال السدي : الملأ الأعلى الملائكة الذين هم في السماء الدنيا[٢] .

وقال عطاء : الملائكة الأشراف[٣] .

قوله : ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ﴾ قال ابن عباس ومقاتل[٤] والمفسرون : ويرمون من كل ناحية ، وذكرنا معنى القذف في ما تقدم[٥] ، والمفعول الثاني مقدر على تقدير ويقذفون من كل جانب بالشهب ، يدل عليه قراءة أبي عبدالرحمن السلمي دحوراً بفتح الدال . قال الفرَّاء : «كأنه قال يقذفون بداحِر وبما يدحر» . قال : ولست أشتهي الفتح ؛ لأنه لو وجه ذلك على صحته لكان فيها التاء كما تقول : يقذفون بالحجارة ، ولا تقول يقذفون الحجارة وهو جائز كما قال :

نُغالي اللَّحمَ للأَضْيافِ نِيئاً[٦]

---

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٥٢٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٥ .

(٢) انظر : الماوردي ٥/ ٣٩ ، وأورده غير منسوب الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٨٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف على هذا القول عن ابن عباس أو مقاتل أو لغيرهم ، ويكادون يجمعون ـ حسب علمي ـ على أن معنى الدحور هو : الطرد وليس الرمي كما فسره المؤلف ـ رحمه الله ـ فلعله وهم منه ، والله أعلم .

(٥) ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ [طه :٣٩] . قال : ومعنى القذف في اللغة الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء ، ويقال للسب القذف لأنه رمي بالقبيح من القول .

(٦) صدر بيت وعجزه :

ونُرْخِصُهُ إذا نَضِجَ القَديرُ

ولم أهتد لقائله .

انظر : في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ١٩١ ، والمحتسب في تبيين وجوه =

اي يغالي باللحم[١] .

٩. قولــه تعالى : ﴿ دُحُورًا ﴾ قال الكلبــي[٢] : يدحرونهم فيباعدونهم عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع .

وقال مقاتل : يعني طرداً بالشهب من الكواكب[٣] .

وقال عطاء عن ابن عباس : دحوراً بشهب النار[٤] .

وذكرنا معنى الدحور في ســورة الأعراف[٥] عند قوله : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ . قال المبرِّد : الدحور هو أشد الصغار وأبين الذل[٦] .

قال ابن قتيبــة : ذكرته دحراً ودحوراً دفعته وطردتــه[٧] . وانتصب دحوراً بالمصدر على معنى يدحرون دحوراً ، ودل على المصدر الفعل قوله : ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ، وإن شئت قلت الدحور ثم حذف اللام .

= شــواذ القراءات ٢/ ٢١٩ ، والدر المصون ٣/ ٤٤٤ ، وتهذيب اللغة ٦/ ١٣٢ ، ٧/ ١٣٥ ، ٨/ ١٩١ ، واللسان ١٥/ ١٣١ .

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧ ، ونحوه عن قتادة .

(٥) الآية ١٨ . قال المؤلف هناك : الدحر في اللغة : الطرد والإقصاء والتبعيد ، يقال : دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وبعَّده .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) تفسير غريب القرآن ٣٦٩ .

وقال مجاهد : دحوراً مطرودين[١] ، فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر[٢] كالركوع والسجود والحصور .

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ قالوا كلهم : دائم . وقد مر في سورة النحل[٣] . ومن فسر الواصب بالشديد والوجع ، فهو معنى وليس بتفسير ، قال مقاتل : يعني دائماً إلى النفخة الأولى فهي تجرح ولا تقتل[٤] ، فقد بين مقاتل أن المراد بهذا العذاب عذاب الدنيا .

١٠. قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ قال صاحب النظم : يجوز أن يكون هذا استثناء من قوله : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ ﴾ فيكون في موضع الرفع ؛ لأنه استثناء من النفي . قال : ويجوز أن يكون قوله : ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ فصلاً مستأنفاً ، ويكون ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ﴾ في موضع نصب على الاستثناء منه . هذا كلامه ، والمعنى إذا جعلت من استثناء من يقذفون أنهم يرمون بالشهب ولا يمكنون[٥] من السمع ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ قال ابن عباس : اختلس الكلمة[٦] .

وقال الكلبي : خطف الخطفة مسارقة[٧] .

---

(١) تفسير مجاهد ٥٣٩ .

(٢) في (ب) : (سميت به المصدر) .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ آية ٥٢ . قال : والواصب الدائم يقال وصب وصوباً إذا دام ، ويقال واصَبَ على الشيء وواظب عليه إذا دام عليه .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٥) في (ب) : (يتمكنون) .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس بهذا اللفظ . انظر تنوير المقباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر القرطبي ١٥/ ٦٦ ، وزاد المسير ٧/ ٤٨ .

وقال مقاتل : يعني يخطف من كلام الملائكة[١] . وذكرنا معنى الخطف في سورة الحج[٢] .

قال الزَّجَّاج : وهو أخذ الشيء بسرعة[٣] .

قوله : ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ ﴾ ؛ أي لحقه وأصابه . قال المفسرون : لا يخطيه ، يقتل أو يحرق أو يخبل[٤] ، يقال تبعه وأتبعه إذا مضى في أثره ، وأتبعه إذا لحقه ، ومنه قوله : ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف :١٧٥] ، وقد مر .

قوله تعالى : ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : نار مضيئاً يحرقه[٥] .

قال الحسن وقتادة : ثاقب مضيء[٦] .

قال الليث[٧] : الثقوب مصدر . النار الثاقبة والكوكب الثاقب ، يقال ثقب يثقب ثقوباً وهو شدة ضوئه وتلألئه ، والخشب الثاقب الصريح النقي[٨] .

وقال أبو عبيدة : الثاقب النير المضيء ، ويقال أثقب ناراً ؛ أي أضاءها ، والثقوب ما يذكى به النار ، ومنه قول أبي الأسود :

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الآية ٣١ . قال : خطف يخطِف إذا أخذ بسرعة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٩ .

(٤) انظر : الثعلبي ٣/ ٢٤٠/ ب ، الطبري ٢٣/ ٤٠ ، والبغوي ٤/ ٢٣ ، والقرطبي ١٥/ ٦٧ .

(٥) تنوير المقباس ٤٤٦ بهامش المصحف ، تفسير مقاتل ١٠٩ب .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٤٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٣ ، والقرطبي ١٥/ ٦٧ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (ثقب) ٩/ ٨٣ ، واللسان (ثقب) ١/ ٢٣٩ .

(٨) انظر : المصادر السابقة ، القاموس المحيط ٨١ .

أذاعَ بهِ في الـنـاسِ حتى كـأنـهُ بعلياءَ نارٍ أُوقـــدتْ بثقوبِ[١][٢]

ونظير هذه الآية قوله : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[٣] [الحجر :١٨] ، وذكرنا الكلام هناك مستقصى في[٤] معنى الشهاب ، ومعنى الآية .

١١. قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ قال ابن عباس : قل يا محمد لقومك[٥] .

وقال أبو إسحاق : فسألهم[٦] ســؤال تقرير . ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ؛ أي أحكم صنعة ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من غيرهم ، يعني من الأمم الســالفة ، يريد أنهم ليســوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقــد أهلكناهم بالتكذيب ، فما الذي يؤمنهم من العذاب ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٧] .

وقــال مقاتل : ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ بعد الموت ، وذلك أنهم كفروا بالبعث[٨] . ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يعني السموات والأرض والجبال ، وهذا قول مجاهد وسفيان[٩] ، والمعنى : ليس خلقهم بعد الموت بأشــد من خلق السموات والأرض والجبال ، وقد علموا أن الله خلق هذه الأشياء ، فهو أيضاً يقدر على خلقهم بعد الموت .

---

(١) البيــت من الطويل لأبي الأســود في ديوانه ٤٥ ، ومجاز القــرآن ١/ ١٣٣ ، ٢/ ١٦٧ ، والدر المصون ٢/ ٤٠٢ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٦٧ .

(٣) في (ب) : (ثاقب مبين) ، وهو خطأ .

(٤) قال ـ رحمه الله ـ هناك : والشهاب شعلة نار ساطع ، ثم يسمى الكوكب شهاباً والسنان شهاباً لبريقهما يشــبهان النار ، فقال المفسرون : إن الشــهاب لا يخطئه أبداً ، وإنهم ليرمون فــإذا توارى عنكم فقد أخطأه .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٦) هكذا في النســخ ولعل الصواب : فاسألهم ؛ لأن عبارة أبي إسحاق : أي سلهم . معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٩ .

(٧) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ١٥/ ٦٨ ، وزاد المسير ٧/ ٤٩ .

(٨) تفسير مقاتل ١١أ .

(٩) تفسير مجاهد ٥٤٠ ، ولم أقف عليه عن سفيان .

وقال الكلبي : ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يقول : أم من عندنا من الملائكة[١] . ومَنْ على قول مقاتل ومجاهد بمعنى : ما .

ثم ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال عطاء : يريد الذي يلصق[٢] .

وقال مجاهد عن ابن عباس : من طين لازب قال جيد[٣] .

وقال السدي : الذي يلزق بعضه ببعض[٤] .

وقال عكرمة : اللزوج[٥] . وقال الكلبي : الطين الجيد اللاصق[٦] . وأكثر أهل اللغة على أن الباء في اللازب بدل من الميم ، يقال : لازم ولازب ، وهو قول أبي عبيد[٧] والفرَّاء .

وقال الكسائي : لزِب يلزِب بالكسر ولزُب بالضم لغتان لزوباً[٨] . وعلى هذا يجوز أن يكون اللازب لغة بنفسه من غير أن تكون الباء مبدلة من الميم .

والمعنى : قال مقاتل : فالذي خلق من الطين أهون خلقاً عند هذا المكذب بالبعث من خلق السموات والأرض[٩] . وعلى القول الأول في معنى الآية : أراد

---

(١) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ١٥/ ٦٨ ، وزاد المسير ٧/ ٤٩ ، وفقد ذكرا القول من دون نسبه .

(٢) لم أقف عليه عن عطاء وقد روى عن ابن عباس . انظر : الطبري ٢٣/ ٤٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٦ .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ٤٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٩ .

(٤) لم أقف عليه عن السدي وينسب للضحاك وقتادة وابن زيد . انظر : الطبري ٢٣/ ٤٢ ، والقرطبي ١٥/ ٦٩ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٤٣ ، والماوردي ٥/ ٤٠ ، والقرطبي ١٥/ ٦٩ .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر : المصادر السابقة .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٨٤ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢١٥ ، وعن الفرَّاء . تاج العروس ٤/ ٢٠٥ .

(٨) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ١٥/ ٦٩ .

(٩) تفسير مقاتل ١١٠أ .

الإخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم ، يعني أن هؤلاء خلقوا مما خلق منهم الأولون ، فليسوا بأشد خلقاً منهم .

١٢. قوله تعالى : ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ الكلام في معنى بل قد تقدم عند قوله : ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف :٤٨][(١)] ، وأما عجبت ففيه قراءتان : ضم التاء وفتحها ، والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود والأعمش ، وقراءة قراء الكوفة واختيار أبي عبيد ، وكان شريح يقول : بل عجبتَ ، ويقول إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش : فذكرت ذلك لإبراهيم فقال : كان شريح يعجب بعلمه ، وكان عبدالله أعلم منه وكان يقرأ : (بل عجبتُ)[(٢)][(٣)] .

قال أبو عبيد : والشاهد مع هذا قول الله : ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد :٥] أخبر جل جلاله أنه عجب ، ومما يزيده تصديقاً الحديث المرفوع : «لقد عجب الله البارحة من فلان وفلانة»[(٤)] .

---

(١) انظر : البسيط قال : بل هنا لتؤذن بتحقيق ما سبق وتوكيد ما يأتي بعده ، وقد تجيء بل في الكلام لترك ما سبق من غير إبطال له .

(٢) أورده عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١٤٨ بسنده عن الثوري عن الأعمش عن أبي وائل ، والفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣٨٤ .

(٣) انظر : حول هذه القراءة . الحجة ٦/ ٥٣ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٧٤ ، والطبري ٢٣/ ٤٢ .

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب ويؤثرون على أنفسهم ٤/ ١٨٤٥ رقم ٤٦٠٧ ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهدُ ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يُضَيِّفه هذه الليلة ، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدَّخريه شيئاً . قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت . ثم غدا الرجل على النبي ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل ، أو ضحك من فلانٍ وفلانة» فأنزل الله عز وجل : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

وقال الفرَّاء : «العجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ، ألا ترى أنه قال : ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة :٧٩] . وليس السُخْرِيّ من الله كمعناه من العباد»[١] .

وقال أبو إسحاق : (العجب من الله خلاف العجب من الآدميين هذا كما قال :﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال :٣٠] ، وقال : ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة :٧٩] ، وقال : ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء :١٤٢] ، والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين . وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال عجبت من كذا وكذا ، وكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله -عز وجل- جاز أن يقول : عجبت . والله -عز وجل- قد علم الشيء قبل كونه ، ولكن الإنكار والعجب الذي به تلزم الحجة عند وقوع الشيء) . انتهى كلامه[٢] .

وقد ثبت جواز إضافة العجب إلى الله ، وهو على وجهين : عجب مما يرضى وعجب مما يكره ، فالعجب بما يرضى معناه في صفة الله الاستحسان وأخبر عن تمام الرضى ، والعجب بما يكره الإنكار والذم له ، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز العجب في وصف الله ، وقالوا في قوله : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد :٥] ؛ أي فعجب عندكم ، وقالوا في هذه القراءة : معناها أن هذه الحالة وهي إنكارهم البعث مع وضوح الدلالة عليه وهو الابتداء والإنشاء حلت محل الشيء الذي إذا ورد عليكم عجبتم منه ، ويقول سامعها عجبت ، كما أن قوله : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم :٣٨] معناه أن هؤلاء مما [يقولون أنتم فيه هذا النحو من الكلام ، وكذلك قوله :﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة :١٧٥] . عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام ، وعلى هذا النحو قوله : ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه :٤٤][٣] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٠ .

(٣) ما بين المعقوفين يبدو أنه كلام لا علاقة له بالسياق فلعله وهمٌ من النساخ .

قالوا : «ولا يجوز العجب في وصف القديم[١] كما يكون في وصف الإنسان ؛ لأن العجب منا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه ، وهذا منتف عن القديم سبحانه وتعالى ، وهذا مذهب المعتزلة . ومذهب أهل السنة أن العجب قد ورد مضافاً إلى الله في كثير من الأخبار كما روى : عجب ربكم من إلِّكُم وقنوطكم ، وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة»[٢] ومعناه ما ذكرنا . والعجب الذي ذكروا أنه لا يجوز في وصف الله لا نجوزه نحن ، ولكن من حيث اللفظ قد ورد العجب في وصفه ، وتأويله ما ذكرنا[٣] .

وأما معنى الآية والمفسرون على فتح التاء فذكروا فيه قولين ؛ أحدهما : عجبت يا محمد من القرآن حين أوحي إليك ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ، يعني كفار مكة سخروا من النبي حين سمعوا منه القرآن ، هذا قول مقاتل[٤] .

---

(١) وصف الله ـ جل وعلا ـ بالقديم مما أدخله المتكلمون في أسماء الله تعالى وليس من أسمائه الحسنى ؛ لأن القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره ، وقد جاء الشرع المطهر باسمه الأول ، وهو أحسن من القديم ؛ لأنه يشعر أن ما بعده آيل إليه .
انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٧٧ .

(٢) أخرج ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/ ٦١ أول الحديث وفي ٣/ ١١ آخر الحديث ، وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة . والزمخشري في الفائق ١/ ٥٢ ، وأول الحديث : عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم . وابن الجوزي في غريب الحديث ١/ ٣٦ أول الحديث ، وإلِّكم من الإلِّ ، قال ابن الأثير في النهاية ١/ ٦١ الإلُّ : شدة القنوط ، ويجوز أن يكون رفع الصوت بالبكاء .
وقال الزمخشري في الفائق ١/ ٥٢ الإل والألل والأليِّل رفع الصوت بالبكاء . والمعنى أن إفراطكم في الجؤار والنحيب فعل القانطين من رحمة الله مستغرب مع ما ترون من آثار الرأفة عليكم .

(٣) تأويل المؤلف لصفة العجب الذي يشير إليه بقوله ما ذكرنا لم أقف عليه . والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد اضطرب في فهم هذه الصفة أو في إثباتها ، فمذهب الأشاعرة هو تأويل هذه الصفة ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون لله ـ جل وعلا ـ ما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٦٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٠أ .

وقال قتادة[١] : عجب نبي الله من هـذا القرآن حين أنزل عليه وضلال بني آدم ، والمعنى أنه ﷺ كان يظن أن كل من يسمع منه القرآن يؤمن به ، فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه وتركوا الإيمان به عجب محمد ﷺ من ذلك ، فقال الله -تعالى- عجبت يا محمد من نزول الوحي وتركهم الإيمان ، وهو معنى قوله : ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ؛ لأن سخرتهم من ترك الإيمان به .

والقول الثاني : عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون منك ويستهزئون من تعجبك ، وهذا قول الكلبي[٢] ، ومعنى قول ابن عباس[٣] في رواية عطاء ، وذكر أبو إسحاق[٤] القولين جميعاً .

وعلى القول الأول : العجب من نزول الوحي وسخرتهم بالنبي ﷺ والقرآن . والواو في : ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ واو الحال ، والتقدير : بل عجبت وهم يسخرون أن وقع العجب منك في هذه الحال منهم .

وعلى القول الثاني : العجب من إنكارهم البعث ، والواو في : ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ واو الاستئناف .

وأما معنى الآية على قراءة من قرأ بالضم فقد ذكرنا فيه قولين ، فمن أجاز إضافة العجب إلى الله على معنى الإنكار ، كان تأويل الآية أن الله تعالى ذكر إنكاره عليهم ما هم فيه من الكفر والتكذيب ، وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهزئون ولا يتفكرون . وعلى قول من لم يضف العجب إلى الله معنى الآية كمعناها في قراءة من قرأ بالفتح[٥] .

---

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٨ ، والطبري ٢٣/ ٤٤ ، ومعاني النحاس ٦/ ١٥ .

(٢) انظر : زاد المسير ٧/ ٤٩ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر القرطبي ١٥/ ٦٩ ، وزاد المسير ٧/ ٤٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٠ .

(٥) انظر : الحجة ٦/ ٥٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٧٤ .

١٣-١٥ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ؛ أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون به ، ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يعني انشقاق القمر بمكة[١] ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ، قال أبو عبيدة[٢] : يستسخرون ويسخرون سواء ، وهو قول المفسرين ، قالوا كلهم : يسخرون ويستهزئون ويقولون : هذا عمل السحرة وهو قوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، قال ابن قتيبة : (يقال سخر واستسخر كما يقال قرَّ واستقر ، وعجب واستعجب ، وأنشد قول أوس :

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرى مِنْ أَناتِنا[٣]

قال : ويجوز أن يكون يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من النبي ﷺ ، كما تقول استعتبته أي سألته العتبى واستوهبته)[٤] ونحو ذلك .

وقال أبو إسحاق في قوله : «﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي جعلوا ما يدل على التوحيد مما يعجزون عنه سحراً»[٥] .

---

(١) انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٢ ، والبغوي ٤/ ٢٤ ، وتفسير مقاتل ١١٠أ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٦٧ .

(٣) عجز بيت وصدره :

ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

وهو من الطويل لأوس بن حجر في ديوانه ١٢١ ، وتفسير غريب القرآن ٣٧٠ ، واللسان ٢/ ٦٩ ، ١٥/ ١٤٧ ، والكامل ٢/ ١١٤٣ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٠ .

١٦. قولــه تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾[١] الآية . الكلام في نظير هذه الآية قد تقدم في سورة الرعد[٢] ، ثم في سورة النمل[٣] ، والعنكبوت[٤] . قال أبو إســحاق المعنى : أنبعث إذا كنا تراباً وعظاماً[٥] ؟ وهذا اســتفهام إنكار وتعجب .

١٧. قوله تعالى : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ﴾ قال مقاتــل[٦] : أو يبعث آباؤنا ، وهذه ألف الاســتفهام دخلت على حرف العطف . وقرأ نافع هاهنا وفي ســورة الواقعة[٧] ساكنة الواو . وذكرنا الكلام في هذا في سورة الأعراف عند قوله : ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[٨] .

---

(١) قوله : (وكنا تراباً) غير مثبت في (أ) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ الآية ٥ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ الآية ٦٧ .

(٤) عنــد قولــه تعــالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآيتان ١٩-٢٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٠ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٠أ .

(٧) آية ٤٨ قوله تعالى : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

(٨) آيــة ٩٨ . وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك كلاماً طويــلًا منقولاً بنصه من الحجة : كما قال د . محمد الفايز ، انظر : الحجة ٤/ ٥٤ .

١٨. قال مقاتل : فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة ﴿ نَعَمْ ﴾ تبعثون ﴿ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ؛ أي صاغرون[١] ، وقال أبو عبيدة والمفضل[٢] : الدخور أشد الصغار ، يقال داخر صاغر ، وأنشد أبو عبيدة قول ذي الرمة ، فقال :

فلمْ يبقَ إلَّا داخرٌ في مخيِّشٍ ومنحجرٌ في غيرِ أرضكَ في حُجْرِ[٣][٤]

وذكرنا تفسير هذا عند قوله : ﴿ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل :٤٨][٥] .

١٩. ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة ، وذلك قوله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾ [وهي ضمير على أن شريطة التفسير][٦] وقد مضت هذه المسألة ، والمعنى وإنها قصة البعث زجرة واحدة .

قال مقاتل : يعني صيحة واحدة من إسرافيل[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠أ .

(٢) لم أقف على قول المفضل .

(٣) البيت من الطويل وهو لذي الرمة في ديوانه ٢٧٥ ، وانظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ٢/ ١٦٨ . والدخور هو التواضع ، والمخيش : السجن ، والمنحجر الداخل في الحجر . انظر : الدر بتحقيق الخراط ٧/ ٢٣٣ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٦٨ .

(٥) قال هناك : داخرون ؛ أي صاغرون هذا لفظ المفسرين ، يقال دخر يدخر دخوراً ؛ أي صغر يصغر صغاراً ، وهو الذي يفعل ما يؤمر به شاء أم أبى .

(٦) هذه الجملة يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنها مدرجة وأنها خطأ ووهم من النساخ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٠أ .

وقال ابن عباس : يريد نفخة البعث[١] . ومعنى الزجر في اللغة الصيحة التي يزجر بها ، كالزجرة بالغنم وبالإبل[٢] عند الحث ، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وإن لم يكن فيها معنى الزجر عن الشيء كالتي في هذه الآية[٣] .

قولـــه تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ قال مقاتل : ينظـــرون إلى البعث الذي كذبوا به[٤] .

وقال الكلبي : إذا سمعوا بالصيحة الآخرة زجروا من قبورهم فاستووا على ظهر الأرض قياماً ينظرون[٥] ما يؤمرون به .

قال أبو إســـحاق : «أي يبعثون بصراء ينظرون» ، فلـــما عاينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا أن البعث حق فدعوا بالويل .

٢٠ . ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ قال[٦] : من العذاب ﴿ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ يعني يوم الحساب والجزاء ، قاله الكلبي ومقاتل وعطاء[٧] .

وقال أبو إسحاق : يوم نجازى فيه بأعمالنا[٨] .

---

(١) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف .
(٢) في (ب) : (والإبل) .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٠/ ٦٠٢ ، واللسان (زجر) ٤/ ٣١٨ .
(٤) تفسير مقاتل ١١٠أ .
(٥) لم أقف عليه عند الكلبي . انظر : القرطبي ١٥/ ٧٢ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠١ .
(٧) تفسير مقاتل ١١٠أ ، ولم أقف عليه عند الكلبي وعطاء ، انظر : الماوردي ٥/ ٤٢ ، وزاد المسير ٧/ ٥٢ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠١ .

٢١. قال مقاتل : «فردت عليهم الملائكة فقالوا : ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ يعني يوم القضاء . ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ بأنه غير كائن»[١] ، ونحو هذا قال الكلبي[٢] . فيقال لهم : ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ .

وقال ابن عباس : يريد اليوم الذي يفصل بين العباد[٣] .

وقال أبو إسحاق : هذا يوم الفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازى كل بعمله[٤] .

٢٢. قوله تعالى : ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ ؛ أي يقال في ذلك اليوم : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال ابن عباس : الذين أشركوا من بني آدم[٥] .

وقوله : ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالأزواج هاهنا الأمثال والأشباه والضرباء ، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس وابن زيد وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والشعبي ، قالوا هؤلاء كلهم : أمثالهم وأشباههم وأشياعهم وأتباعهم وضرباؤهم[٦] ، ونحو ذلك قال الكلبي[٧] . كل من عمل مثل عملهم وهو من قوله : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ ؛ أي أشكالاً وأشباهاً ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق قال : «المعنى ونظراؤهم وضرباؤهم ، تقول عندي من

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠أ .

(٢) لم أقف على قول الكلبي ، وقد ذكره القرطبي ١٥/ ٧٢ ولم ينسبه ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٢ .

(٣) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠١ .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف ، وذكر القول ولم ينسبه البغوي ٤/ ٢٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٢ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٨ ، والطبري ٢٣/ ٤٦ ، والثعلبي ٣/ ٢٤٠/ ب ، الماوردي ٥/ ٤٣ ، وزاد المسير ٧/ ٥٢ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر : المصادر السابقة .

هذا أزواج ؛ أي أمثال ، وكذلك زوجان من الجفاف ؛ أي كل واحد نظير صاحبه ، وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل ، قد تناسبا بعقد النكاح وكذلك ، قوله : ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص :٥٨]» انتهى كلامه[١] ، وعلى هذا يجب أن يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء والقادة ؛ لأنك إذا جعلت الذين ظلموا عامّاً في كل من أشرك لم يكن للأزواج معنى .

وقال ابن عباس[٢] في رواية عطاء : ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناؤهم من الشياطين ، وهو قول مقاتل[٣] ؛ قال : يعني الشياطين الذين أضلوهم ، وكل كافر مع شيطان في سلسلة واحدة ، وقال الحسن[٤] ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قال : يعني ضرباؤهم من الجن .

قوله عز وجل : ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي من الأوثان والطواغيت . وقال مقاتل : يعني إبليس وجنده[٥] ، واحتج بقوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس :٦٠] .

٢٣. قوله تعالى : ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال ابن عباس : دلوهم[٦] . وهو اختيار المفضل[٧] قال : المعنى اذهبوا بهم .

قال أهل المعاني : وإنما استعملت الهداية هاهنا ؛ لأنه جعل الهداية إلى الجنة كما قال : ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران :٢١ ، التوبة :٣١ ، الانشقاق :٢٤] ، فوقعت

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠١ .

(٢) تفسير ابن عباس ٣٧٥ بهامش المصحف . انظر : الماوردي ٥/ ٤٣ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٠أ .

(٤) لم أقف عليه عن الحسن ، ونسبه أكثر المفسرين للضحاك ومقاتل . انظر : البغوي ٤/ ٢٥ ، والقرطبي ١٥/ ٧٣ ، وزاد المسير ٧/ ٥٢ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٠أ .

(٦) تفسير ابن عباس ٣٧٤ بهامش المصحف . انظر : البغوي ٤/ ٢٥ .

(٧) لم أقف على اختيار المفضل .

البشـــارة بالعذاب لهؤلاء بدل البشارة بالنعيم لأولئك[١] . وروي عن ابن عباس في قوله : ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ فسوقوهم[٢] .

وقال مقاتل والكلبي والضحاك[٣] : فادعوهم ، وهو معنى وليس بتفسير .

وقال ابن كيســـان : قدموهم[٤] وهودوهم ؛ لأنه يقـــال هذا إذا تقدم ، ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش ، ولا يقال هدى بمعنى قدم .

٢٤-٢٥ . قولـــه تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ يقال : وقفت الدابـــة أقفها وقفاً فوقفت هي وقوفاً[٥] . قال الزَّجَّاج[٦] : احبسوهم .

وقال الكلبي : وقفوا قبل ذلك وحوســـبوا حين قدموا على الله[٧] . يعني أن في الـــكلام تقديماً وتأخيراً ، والأمر بوقفهم يكون قبل الأمر بســـوقهم إلى صراط الجحيم ، روي عن ابن عباس أنه قال : وقفوا قبل ذلك .

قال المفضل[٨] : يجوز أن يكون التقديم والتأخير : قفوهم واهدوهم .

---

(١) لم أقف عليه عند أهل المعانى ، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٨٨ .

(٢) أورده السيوطي في الدر ٧/ ٨٤ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس . قلت : ولم أقف عليه عند ابن جرير .

(٣) تفسير مقاتل ١١٠أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي والضحاك ، وأورده الماوردي ٥/ ٤٣ ، ونسبه للسدي .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٠ب ، والبغوي ٤/ ٢٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (وقف) ٩/ ٣٣٣ ، ومقاييس اللغة (وقف) ١١٠١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٢ .

(٧) انظر : القرطبي ١٥/ ٧٤ .

(٨) لم أقف على قول المفضل .

وقال مقاتل : فلما سيقوا إلى النار حبسوا[١] . وعلى هذا الحبس كان[٢] بعد السوق والكلام على وجهه ونظمه ، كأنه قيل : واهدوهم إلى صراط الجحيم ، فإذا انتهوا إلى الصراط قبل وقفوهم[٣] للسؤال على الصراط .

﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ قال ابن عباس : عن أعمالهم في الدنيا وأقاويلهم[٤] .

وقال مقاتل[٥] : سألتهم خزنة جهنم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٦] [الزمر :٧١] ، ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد وهو قوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ؛ أي إنهم مسؤولون توبيخاً لهم ، فيقال : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[٧] أي لا تتناصرون .

قال ابن عباس : لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا ، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر : نحن جميع منتصر ، فقيل لهم ذلك اليوم : ما لكم غير متناصرين[٨] .

وقال مقاتل[٩] : يقول للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٢) في (أ) : (كانوا) ، وهو خطأ .
(٣) في (أ) : (وقفوهم السؤال) ، وهو خطأ .
(٤) انظر : البغوي ٤/ ٢٥ ، والقرطبي ١٥/ ٧٤ ، وزاد المسير ٧/ ٥٣ .
(٥) تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٦) قوله : (ألم يأتكم رسل منكم) غير مثبت في (أ) ، وعدم إثباته خطأ .
(٧) سقط من (أ) قوله : (لا) .
(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٤٠ب ، والبغوي ٤/ ٢٥ ، والقرطبي ١٥/ ٧٤ .
(٩) تفسير مقاتل ١١٠ب .

٢٦. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يقال: استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع. قال أبو عبيدة: والمستسلم الذي يعطى بيده[١].

وقال الكسائي[٢]: ملقون بأيديهم. وقال المفضل[٣]: أذلاء منقادون لا حيلة لهم في أنفسهم، لا العابد ولا المعبود. وقال ابن عباس: ألقوا بأيديهم وضلت حجتهم[٤].

وقال أبو صالح: استسلم العابد والمعبود عند ذلك وعرفوا أنه الحق[٥]. ومعنى استسلم: طلب السلامة بترك المنازعة.

٢٧. قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريدهم والشياطين[٦]، وقيل الرؤساء والأتباع[٧].

وقوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي يسأل بعضهم بعضاً، قال مقاتل[٨] والكلبي[٩]: يتكلمون في ما بينهم؛ أي يختصمون، وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم والتكلم، وهو سؤال التأنيب، يقولون: غررتمونا، وتقول أولئك لهم: قبلتم منا. وقال في موضع آخر: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]، وهذا

---

(١) مجاز القرآن: ٢/ ١٦٨.

(٢) لم أقف على قول الكسائي، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٧٩ ونسبه للأخفش.

(٣) لم أقف على قول المفضل، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٧٩، ولم ينسبه.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأورده الطبرسي ٨/ ٦٨٩، ولم ينسبه.

(٥) لم أقف عليه عن أبي صالح.

(٦) تفسير ابن عباس ٣٧٥ بهامش المصحف.

(٧) ذكره الماوردي ٥/ ٤٥، ولم ينسبه، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٤.

(٨) تفسير مقاتل ١١٠ب.

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي، وقد ذكره الماوردي ٥/ ٤٥ عن ابن عباس، وذكره البغوي ٤/ ٢٦ غير منسوب لأحد.

التســـاؤل متضمن لمعنى التلاوم وليس ذلك تساؤل المستفهمين ، بل هو تساؤل التوبيخ فهو نفس التلاوم .

٢٨. ثم ذكر ذلـــك التخاصم والتلاوم وهو قولـــه : ﴿قَالُوٓاْ﴾ ؛ أي الكفار للشـــياطين أو الأتباع للرؤســـاء : ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ ، قال ابن عباس[١] : يريد من قبل الحق ، وهو لفظ مقاتل[٢] .

وقـــال الكلبي[٣] : يقول تأتوننا من قبل الدين ، فتزينون لنا ضلالتنا التي كنا عليها ، ونحو ذلك قال الضحاك[٤] .

وقال قتادة : كنتم تفتنوننا عن طاعة الله[٥] .

قـــال الفرَّاء : «يقـــول : كنتم تأتوننا مـــن قبل الديـــن ؛ أي تخدعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القدرة والقوة ، قال الشماخ :

تلقاها عرابةً باليمينِ[٦]

---

(١) انظر : القرطبي ١٥/ ٧٥ ، وذكره الماوردي ٥/ ٤٦ ، ونسبه لمجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ١١٠ب .

(٣) انظر : الماوردي ٥/ ٤٥ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤١أ ، والبغوي ٤/ ٢٦ ، وزاد المسير ٧/ ٥٤ .

(٥) انظر : تفســـير عبدالرزاق ٢/ ١٤٨ ، والطبري ٢٣/ ٤٩ ، وأورده الســـيوطي في الدر ٧/ ٨٦ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٦) هذا عجز بيت من الوافر وصدره :

إذا ما راية رفعت لمجد

للشـــماخ في ديوانه ٣٣٦ ، ومعاني القـــرآن للفراء ٢/ ٣٨٥ ، وتهذيب اللغـــة ٨/ ٢٢١ ، ١٥/ ٥٢٣ ، واللسان ١٣/ ٤٦١ .

قال : يريد القدرة[١] والقوة»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا أن الدين والحق ما تعلنوننا به»[٣] .

فاليمين على ما ذكروا عبارة عن الحق والدين ، غير أن قول أبي إسحاق غير قول الآخرين ؛ لأن معنى قوله : كنتم تزينون لنا الدين الذي كنتم عليه وهو الكفر . ومعنى قول الآخرين : كنتم تمنعوننا بإضلالكم عن الدين الذي هو الحق .

وشرح ابن قتيبة قول المفسرين في هذه الآية فقال : «يقول المشركون لقرنائهم من الشياطين : إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا لأن إبليس قال : ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف :١٧] ؛ فشياطينه[٤] تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات ، يعني التأكيد والإضلال ، قال المفسرون : فمن أتاه الشيطان من قبل الشمال أتاه من قبل الشهوات ، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف من بعده ، فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة . فقال[٥] المشركون لقرنائهم : إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا من جهة الدين فتشبِّهون علينا فيه حتى أضللتمونا»[٦] .

---

(١) في (أ) : (القوة والقدرة) .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٨٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٢ .

(٤) هكذا في النسخ وفي تأويل المشكل لابن قتيبة (فشياطينهم) ، وهو الصواب .

(٥) في (ب) : (قال) سقطت الفاء .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٤٨ .

وقال أبو القاسم[١] الزَّجَّاجي : أجود ما قيل في هذا أنه من قول العرب : فلان عندي باليمين ؛ أي بالمنزلة الحسنة ، وفلان عندي بالشمال ؛ أي بالمنزلة الخسيسة الدنية[٢] . فقال هؤلاء الكفار [لأئمتهم][٣] الذين أضلوهم وزينوا لهم الكفر : إنكم كنتم تخدعوننا وترونا[٤] أننا عندكم بمنزلة اليمين ؛ أي بالمنزلة الحسنة ، فوثقنا بكم وقبلنا عنكم ؛ أي أتيتمونا من ذلك الجانب .

قال : وقال بعض أصحابنا وهو قول قوي : إن أئمة المشركين كانوا قد أخافوا[٥] لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق ، فوثقوا بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم التي عهدوها . فمعنى قوله : ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ ؛ أي من ناحية المواثيق والأيمان التي قدمتموها لنا ، فقال لهم قرباؤهم : ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ ؛ أي لم تكونوا على حق فنشبهه عليكم ونزيلكم عنه إلى باطل ؛ أي ما كنتم مؤمنين فرددناكم عن الإيمان ؛ أي إنما الكفر من قبلكم .

٣٠. وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ ؛ أي من قدرة فنقهركم ونجبركم . وقال مقاتل : يعني من ملك فنكرهكم على مبايعتنا[٦] . ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ قال ابن عباس : ضالين[٧] .

---

(١) في (ب) : (أبو الغنيم) ، وهو خطأ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٤) في (ب) : (وترونا) .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (قالوا) .

(٦) تفسير مقاتل ١١٠ب .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : القرطبي ١٥/ ٧٥ ، وزاد المسير ٧/ ٥٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٨٩ .

٣١. وقال الكلبي : فوجب علينا جميعاً قول ربنا بالسخط[١] . وقال مقاتل[٢] : يعني قول الله لإبليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص :٨٥] ، وقال أبو إسحاق : أي حقت علينا كلمة العذاب[٣] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ ؛ أي العذاب الأليم ، قاله ابن عباس[٤] ومقاتل والكلبي .

وقال أبو إسحاق : أي إن الجماعة المضل والضال[٥] في النار[٦] .

٣٢. قوله تعالى : ﴿فَأَغْوَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : فأضللناكم عن الهدى[٧] .

وقال الكلبي : دعوناكم[٨] إلى ما كنا عليه فأضللناكم[٩] .

وقال عبدالله بن مسلم : أي بالدعاء والوسوسة . ومثله : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم :٢٢] الآية)[١٠] .

---

(١) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : المصادر السابقة .

(٢) تفسير مقاتل ١١٠ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٢ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ ، ولم أقف على هذا القول منسوباً لمقاتل والكلبي . انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤١ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٣ .

(٥) في (ب) : (الضال والمضل) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٢ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٠ب ، وتفسير ابن عباس ٣٧٥ ، وانظر : القول غير منسوب في بحر العلوم ٣/ ١١٤ ، والبغوي ٤/ ٢٦ ، وزاد المسير ٧/ ٥٥ .

(٨) في (ب) : (دعويناكم) .

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : زاد المسير ٧/ ٥٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٠ .

(١٠) تأويل مشكل القرآن ٣٤٩ .

٣٣. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل[١]: يريد الشياطين والإنس.

وقال الكلبي: هم والذين أطاعوهم في الضلالة شركاء[٢] في النار.

٣٤-٣٧. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وشركاء[٣]، وهو قول الكلبي[٤] وعامة المفسرين، أن المراد بالمجرمين هاهنا المشركين[٥] خاصة، يدل عليه قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لا يقولونها[٦].

وقال مقاتل: يعني يتكبرون عن الهدى[٧].

وقال أبو إسحاق: يستكبرون عن توحيد الله عز وجل[٨].

وفي الآية إضمار على تقدير: إذا قال لهم قولوا لا إله إلَّا الله.

قال مقاتل: وذلك أن الملأ من قريش اجتمعوا عند أبي طالب، فقال لهم النبي ﷺ يومئذ: «قولوا لا إله إلَّا الله تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم»،

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠ب، ولم أقف عليه عن ابن عباس، وذكره أكثر المفسرين. انظر: بحر العلوم ٣/ ١١٤، والبغوي ٤/ ٢٦، والقرطبي ١٥/ ٧٥.

(٢) أورده الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٩٠ غير منسوب لأحد.

(٣) انظر: البغوي ٤/ ٢٦، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٠.

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي.

(٥) في (أ): (المشركون)، وهو خطأ.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس. انظر: بحر العلوم ٣/ ١١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٣.

(٧) تفسير مقاتل ١١٠ب.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٢.

فأبوا وقالوا : ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا ﴾ ؛ أي نترك[١] عبادتها لهذا الشاعر المجنون ، يعنون محمداً ﷺ فكذبهم الله ورد عليهم بقوله : ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس الأمر كما قالوا ﴿جَآءَ﴾ محمد ﷺ ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال الكلبي : بالقرآن[٢] . وقال مقاتل : بالتوحيد[٣] .

﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين كانوا قبله[٤] . والمعنى أنه أتى بما أتوا به من التوحيد فهو موافق لهم .

٣٨-٣٩ . قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ﴾ قال الكلبي يعني العابد والمعبود[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا ﴾ ؛ أي إلا بما ﴿ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ أي ما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك .

٤٠. قال مقاتل : ثم[٦] استثنى فقال :﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ، قال عطاء والكلبي عن ابن عباس : هم الموحدون[٧] ، أهل لا إله إلَّا الله ، وهم الذين استخلصهم الله لنفسه .

٤١. قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ قال الكلبي : مقدار غدوة وعشية[٨] ، وليس ثم بكرة وعشية يدل على هذا قوله : ﴿ وَلَهُمْ

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٢) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٤ ، والقرطبي ١٥/ ٧٦ ، وزاد المسير ٧/ ٥٥ .
(٣) تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ . انظر : المصادر السابقة .
(٥) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٤ .
(٦) تفسير مقاتل ١١٠/ ب .
(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٤ ، والبغوي ٤/ ٢٧ ، وزاد المسير ٧/ ٥٥ .
(٨) انظر : القرطبي ١٥/ ٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٥٦ .

﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم :٦٢] ، وقال مقاتل : يعني بالمعلوم حين يشتهونه[١] .

وقال قتادة : الرزق المعلوم الجنة[٢] .

وقال غيره : رزق معلوم أي بعلم الله .

٤٢. ثم بيَّن الرزق فقال : ﴿فَوَٰكِهُ﴾ ، وهذا يوجب أن يكون الرزق المعلوم الفواكه ؛ لأنه فسره بها ، والفواكه جمع الفاكهة ، وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ، وتفكه إذا أكل الفاكهة ، وفكَّهت ؛ أي أطعمتهم الفاكهة[٣] . وقال بعض أهل المعاني : الفاكهة طعام يؤكل للذة لا للقوت[٤] ، والفاكه الذي كثرت فاكهته .

٤٥. قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ قال أبو عبيدة : الكأس الإناء بما فيه[٥] ، وقال أبو إسحاق : «الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه»[٦] . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر ، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل[٧] .

وقال الضحاك : كل كأس في القرآن إنما عني به الخمر[٨] . وهذا منهم توسع ، وذلك أنهم لما كان المراد بإدارة الكأس إدارة ما فيه لا الإناء ، فسروه بما هو المراد .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ٥٢ ، والقرطبي ١٥/ ٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٥٥ .
(٣) انظر : تهذيب اللغة (فكه) ٦/ ٢٥ ، واللسان (فكه) ١٣/ ٥٢٣ .
(٤) في (ب) : (لا لقوت) ، وهو خطأ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ .
(٧) لم أقف عليه عن عطاء والكلبي . انظر : تفسير مقاتل ١١٠ب .
(٨) انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١ ، والقرطبي ١٥/ ٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٥٦ .

وقوله : ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى الكلام مستقصى في تفسير المعين عند قوله : ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون : ٥٠][(١)] .

قال الكلبي[(٢)] : يطوف عليهم خدمهم بخمر بيضاء من معين ، والمعين الظاهر .

وقال مقاتل : من معين يعني الجاري[(٣)] .

وفي المعين قولان ؛ أحدهما[(٤)] : أنه الظاهر الذي تراه العيون . والثاني : أنه الجاري السايح وقد ذكرناهما .

٤٦. وقوله : ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن[(٥)] .

وقوله : ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يجوز أن يكون اللذة مصدراً سمي به . قال الليث : «اللذ واللذيذ يجريان مجرىً واحداً في النعت ، يقال شراب لذ ولذيذ»[(٦)] . قال الله تعالى : ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد : ١٥] ، وبذلك سمي النوم[(٧)] الاستلذاذة ، وعلى هذا لذة بمعنى اللذيذة . وقال أبو إسحاق : أي ذات لذة[(٨)] . فعلى هذا حذف المضاف .

---

(١) قال : قال ابن عباس في رواية عكرمة يعني أنهار دمشق ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : المعين الماء ، وروى جابر عنه أنه الماء الجاري ، وهو قول مقاتل .

(٢) لم أقف على قول الكلبي .

(٣) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٤) في (أ) : (أحدها) .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٤ ، والبغوي ٤/ ٢٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٢ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (لذَّ) ١٤/ ٤٠٩ .

(٧) في (أ) : زيادة (إلى) ، وهو خطأ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ .

٤٧. قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال الفـرَّاء: العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول[١] سواء.

وقال أبو عبيدة: (الغول أن تغتال عقولهم وأنشد قول مطيع بن إياس[٢]:

وما زالتِ الكأسُ تغتالهم وتذهبُ بالأولِ الأولِ[٣]

وقال ابن قتيبة: أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها، يقال الخمر غول للعلم، والحرب غول للنفوس[٤]، وغالني هؤلاء؛ أي أذهبني.

وقال الليث: الغول الصداع يقال ليس فيها صداع[٥]، هذا كلام أهل اللغة في الغول، وحقيقة الإغـلال[٦]. يقال غاله غولاً؛ أي أهلكه، والغول والغائلة المهلكة، ثم يسمى الوجع غولاً؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك[٧].

وأكثر المفسرين قالوا في الغول: إنه الوجع في البطن والرأس، وهو قول مجاهد وقتادة قالوا: لا يوجع[٨].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٥.

(٢) مطيع بن إياس الكناني من بني ليث بن بكر، وقيل من بني الديل بن بكر، يكنى أبا مسلم، شاعر ظريف حلو العشرة، مليح النادرة، وكان متهماً بالزندقة، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، ولاه المهدي العباسي الصدقات بالبصرة ومات فيها.
انظر: معجم الشعراء ٤٨٠، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٢٣، وسمط اللآلئ ٦٠٠، والأعلام (غول) ١١/ ٥٠٩، والدر المصون ٥/ ٥٠٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٥٠.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩.

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٠.

(٥) لم أقف على القول منسوباً لليث. انظر: تهذيب اللغة ٨/ ١٩٢، واللسان (غول) ١١/ ٥٠٩.

(٦) في (أ): (الإهلاك)، وهو تصحيف، وهكذا أثبت في (ب)، ولعله تصحيف أيضاً والصواب (الغول).

(٧) انظر: تهذيب اللغة (غول) ٨/ ١٩٢.

(٨) انظر: تفسير مجاهد ٥٤١، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٨، وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٤.

وقال مقاتل : لا يوجع الرأس كفعل خمر[١] الدنيا[٢] . وهو قول الحسن قال : غول صداع[٣] .

وقال الشعبي : لا يغتال عقولهم فيذهب بها[٤] .

وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً في الغول فقال : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها وجع[٥] .

قوله : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ وقرئ بكسر الزاي . قال الفرَّاء : «من كسر الزاي فله معنيان ، يقال أنزف الرجل إذا فنيت خمره ، وأنزف إذا ذهب عقله من السكر . ومن فتح الزاي فمعناه : لا تذهب عقولهم ؛ أي لا يسكرون ، يقال نزف الرجل فهو منزوف[٦] ونزيف» .

ونحو هذا قال أبو إسحاق في من فتح ، وقال في قراءة من كسر الزاي لا يُنفِدون شرابهم وهو دائم أبداً لهم ، قال : ويجوز أن يكون يُنزفون يسكرون ، وأنشد هو وأبو عبيدة وغيرهما فقال :

لعمري لئن أنزفتمُ أو صحوتمُ لبئسَ الندامى كنتم آلَ أبجرا[٧][٨]

---

(١) في (ب) : (كفعل الخمر في الدنيا) .
(٢) تفسير مقاتل ١١١أ .
(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤١ب ، والبغوي ٤/ ٢٧ ، والقرطبي ١٥/ ٧٩ .
(٤) انظر : المصادر السابقة .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ .
(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٨٥ .
(٧) في (ب) : (آل بجرا) .
(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٣ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٦٩ .
والبيت من الطويل مختلف في نسبته فهو للأبيرد والرياحي في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والصحاح (نزف) ٤/ ١٤٣١ ، واللسان (نزف) ٩/ ٣٢٧ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢ . وللحطيئة في تفسير =

وحقق أبو علي الكلام في هذه الآية فقال : «أنزف الرجل على معنيين ؛ أحدهما : أنه يراد به السكر ، وأنشد البيت ، وقال : ومقابلته له بصحوتم يدل على أنه يراد به سكرتم ، والآخر : أنزف إذا نفد شرابه والمعنى : صار ذا نفادٍ لشرابه ، كما أن الأول معناه النفاد في عقله ، فقول من كسر الزاي يجوز أن يراد به لا يسكرون عن شربها ، ويجوز أن يراد به لا ينفد ذلك عنهم كما ينفد شراب أهل الدنيا ، فإذا كان معنى لا ينفد شرابهم لأنك إن حملته على أنهم لا يسكرون صرت كأنك كررت لا يسكرون مرتين ؛ وإن جعلت لا فيها غول على لا[1] تغتال صحتهم ولا يصيبهم عنها العلل التي تحدث عن شربها حملت ينزفون على أنهم لا يسكرون ، وعلى أنهم لا ينفد شرابهم ، ومن فتح الزاي أراد لا يسكرون من نزف فهو منزوف إذا سكر ، وليس من أفعل ، ألا ترى أن أنزف بالمعنيين جميعاً لا يتعدى إلى المفعول به ، فإذا لم يتعد إلى المفعول به لم يجز أن يبنى له»[2] انتهى كلامه .

وأصل النزف في اللغة الاستخراج ، يقال نزفتُ البئر إذا استقيتُ ماءها ، ونزف فلان دمه إذا استخرجه بحجامة أو فصد ، وهذا هو الأصل ، ونزف الرجل إذا سكر معناه استخرج عقله ، وأنزف إذا سكر ؛ أي صار إلى حالة نزف العقل عنه ، وأنزف إذا نفد شرابه معناه أنه صار إلى حالة نفاد الشراب بنزفه وإنفاده[3] . واختار أبو عبيد كسر الزاي لاحتمال المعنيين[4] . وأما المفسرون فإنهم فسروا لا

= الثعلبي ٣/ ٢٤١أ ، والقرطبي ١٥/ ٧٩ . وللأسود في الدر المصون ٥/ ٥٠١ . وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٦ ، وعلل القراءات ٢/ ٣١٨ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٨ .

(١) في (أ) : (ألا) ، وهو خطأ .

(٢) الحجة ٦/ ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة (نزف) ١٠٢٢ ، وتهذيب اللغة (نزف) ١٣/ ٢٢٥ ، واللسان (نزف) ٩/ ٣٢٥ .

(٤) لم أقف على اختيار أبي عبيد .

ينزفون لا يسكرون ولا تذهب عقولهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي ومقاتل[١] .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ معنى القصر في اللغة الحبس . قال الزَّجَّاج والمبِّرد وابن قتيبة : أي قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم ولا يطمحن إلى غيرهم[٢] . وهذا كقوله : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص :٥٢] ، وأنشد لامرئ القيس[٣] :

من القاصراتِ الطرفِ لو دبَّ مُحوِلٌ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن :٧٢] ؛ أي محبوسات . والطرف إطباق الجفن على الجفن . وقال الليث : «الطرف تحريك الجفون في النظر يقال شخص بصره في ما يطرف»[٤] . والمعنى أنهن يحبسن نظرهن فلا ينظرن إلى غير أزواجهن . وقال أبو عبيدة : ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ راضيات[٥] . وهذا معنى وليس بتفسير ، يعني أنهن رضين بأزواجهن حيث لم يطمحن إلى غيرهم . والمفسرون قالوا في قاصرات الطرف نحو ما ذكرنا من قول أهل المعاني .

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٤٠ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٨ ، والطبري ٢٣/ ٥٥ ، وتفسير مقاتل ١١١أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٤ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ ، وتفسير غريب القرآن ٣٧١ ، ولم أقف على قول المبرِّد .

(٣) هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه :

من الذرِّ فوقَ الإتبِ منها لأثرا

لامرئ القيس في ديوانه ٦٨ ، وانظره منسوباً له في القرطبي ١٥/ ٨٠ ، والدر المصون ٥/ ٥٠٢ ، ٦/ ٥٥٦ ، والماوردي ٥/ ٤٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ٥٣ ، ولسان العرب (قصر) ٥/ ٩٩ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٨/ ٣٥٩ ، ومعنى البيت أنه يصف امرأة بأنها ممن قصَّرت أعينهن عن النظر إلى من ليس لها من الرجال ، والمحول من الذر هو الصغير جداً منه ، والإتب هو القميص غير المخيط الجانبين الذي كانت تلبسه لأثر في جسمها ، وهذا نهاية الرقة واللطف ، شرح ديوان امرئ القيس ٩١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (طرف) ١٣/ ٣٢٠ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩ .

وقوله : ﴿عِينٌ﴾ قال أبو إسحاق : كبار الأعين حسانها ، واحدها عيناء[١] . وقال الكلبي ومقاتل : حسان[٢] الأعين .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ المكنون معناه في اللغة : المستور ، يقال كننت الشيء وأكننته وقد سبق[٣] الكلام فيه .

وقال أبو عبيدة : «المكنون المصون وكل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته فهو مكنون»[٤] .

قال أبو إسحاق : «يقال كننت الشيء إذا سترته وصنته فهو مكنون»[٥] .

قال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض النعام يكنها بالريش من الريح والغبار[٦] .

وقال الكلبي : كأنهن بيض قد خبئ من الحر والقر[٧] . وذكر قوم من المفسرين في هذا التشبيه ما لا يصح ولا يكون له وجه من حيث اللفظ ما ذكره الحسن وابن زيد .

قال أبو إسحاق : أي كأن ألوانهن ألوان بيض النعام يكنه ريش النعام[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ .
(٢) تفسير مقاتل ١١١أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .
(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام :٢٥] .
(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٧٠ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ .
(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٥ ، والماوردي ٥/ ٤٨ ، والقرطبي ١٥/ ٨٠ ، وزاد المسير ٧/ ٥٨ .
(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وهو في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٥ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ .

وقال المبرِّد : العرب تشـــبه المرأة الناعمة في ضيائها وحسنها وصفوة النعمة عليها ببيضة .

قال الراعي :

كـأنَ بـيضُ نـعامٍ في ملاحفـها إذا اجتلاهنَّ قيظٌ ليلُـــهُ وَمِدُ[١]

وقال ابن الرقيات :

وأوضـحَ لـونها كـبيضةٍ ادحى لهـــا في النســـاءِ خلـــقٌ عميمٌ

وقال أبو داود[٢] :

ممكورةٌ تجـلـو الـظـلامَ ركـلـةٍ ريـــا العظامِ كبيضـــةِ النغصِ[٣]

(١) البيت من البســيط ، وهو للراعــي في ديوانه ٥٥ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢١٨ ، واللســان ٣/ ٤٧٠ ، والكامل ٢/ ٧٦٧ .
والملاحف هي الأغطية . والوقدُ هو ندىً يجيء في صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح ، وقيل هو الحر أيّاً كان مع سكون الريح . انظر : الكامل ٢/ ٧٦٧ .

(٢) أبو داود لم أستطع تحديده ، وهناك أكثر من شاعر يكنى أبا داود :
أ- أبو داود الإيادي ، وهو جويرية بن الحجاج ، وقيل جارية . تقدمت ترجمته .
ب- أبــو داود الرواس زيد بن معاوية بن عمرو بن قيس بن رواس بن كلاب شــاعر فارس . انظر : المؤتلف والمختلف ١١٦ .
أما البيت فلم أقف عليه .

(٣) علق في هامش كلا النسختين : (والنفص : النعام) .

وقال آخر[١] :

وهتكتْ بني الليلِ عنْ بيضِ السوالفِ والصفاحِ
فكأنما ضحكتْ سجو فُ الربطِ عن بيضِ الأداحي

وقال امرؤ القيس[٢] :

صادتْ فؤادكَ بالدلالِ جريرةٌ صفراءُ رادعةٌ عليها اللؤلؤُ
كعقيلةِ الأدحى باتَ يحفها ريشُ النعامِ وزالَ عنها الجؤجؤُ

أراد بعقيلة الأدحى : بيض النعام . وعلى هذا المعنى حمل [قول][٣] الكندي[٤] :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

وقال ابن زيد في هذه الآية : البيض بيض النعام أكنة الريش ، فلونه أبيض في صفرة[٥] . قالوا : وهذه أحسن ألوان النساء أن تكون بيضاء مشربة صفرة .

٥٠ـ٥٣ . وقال سعيد بن جبير والسدي : إن الله تعالى شبههن ببطن البيض قبل أن تمسه الأيدي[٦] ، وليس بالوجه .

---

(١) نسب البيتين لعبدالصمد بن المعذل ، ورواية الصدر في الأول :
وهتكنَ بني الليلِ عني
والسوالف أعلى العنق . والشجف هو السِّتر ولا يسمى سجفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط . اللسان (سجف) ٩/ ١٤٤ ، واللسان (سلف) ٩/ ١٥٩ .

(٢) البيتان من الكامل ، وهما لامرئ القيس ، ولم أقف عليهما في ديوانه .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٤) لم أهتدِ إليه ، ولم أقف على بيته .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٥٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٢ ، وزاد المسير ٧/ ٥٨ .

(٦) انظر : الماوردي ٥/ ٤٨ ، والقرطبي ١٥/ ٨٠ ، وزاد المسير ٧/ ٥٨ .

قوله تعالى : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني أهل الجنة . ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ ، قال مقاتل : يعني يتكلمون يكلم بعضهم[١] بعضاً .

وقال الكلبي : يتحدثون في الجنة عن أهل الدنيا[٢] . والمعنى يسأل هذا ذاك وذاك هذا عن أحوال كانت في الدنيا . يدل عليه ما ذكر الله -عز وجل- عن بعضهم أنه أخبر عن حال قرينه [معه][٣] كيف كانت في الدنيا ، وهو قوله : ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني أهل الجنة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[٤] يعني أخاً كان له في الدنيا ينكر البعث وهو قوله : ﴿يَقُولُ﴾ ؛ أي يقول لي : ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث .

والمفسرون مختلفون في هذين ، فمنهم من قال : كانا أخوين ، وهو قول مقاتل والكلبي[٥] . ومنهم من قال : كانا شريكين ، وهو قول عطاء والسدي[٦] ، وقد قصَّ الله قصتهما في سورة الكهف ، وهو قوله : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾[٧] الآيات .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ يقتضي مفعولاً للتصديق فلم [ ][٨] حتى قال : ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ ، وهذا أيضاً يقتضي جواباً فلما قال : ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ كان هذا جواباً لهما على تأويل أئنك لمن المصدقين ، إنا لمدينون ،

---

(١) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي ، وذكر هذا القول غير منسوب . انظر : القرطبي في تفسيره ١٥/ ٨٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٩ .

(٣) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٤) في (ب) : (إنه) بدلاً من (إني) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ١١١أ . انظر : القرطبي ١٠/ ٣٩٩ ، والماوردي ٣/ ٣٠٥ .

(٦) انظر : القرطبي ١٠/ ٤٠٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٩٠ ، وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر عن عطاء ، ولابن أبي حاتم عن السدي .

(٧) آية ٣٢ ، وما بعدها .

(٨) في النسخ جميعها مقدار كلمة غير واضحة ، ويمكن تقدير المحذوف بنحو (يذكره) .

فيكـــون موضع (إنا) نصباً وكسرت ألفها لدخـــول اللام في خبر إن ، وهذا الذي ذكره يصـــح على قراءة من قرأ إنا لمدينون بغير [ألف][(١)] اســـتفهام ، فأما من قرأ بالاســـتفهام فمفعول التصديق مضمر على تقدير أئنك لمن المصدقين بالبعث[(٢)] ، ودل عليه ما ذكر بعده من إنكاره البعث .

قال أبو إسحاق : المعنى : كان لي قرين يقول أئنك ممن يصدق بالبعث بعد أن نصير تراباً وعظاماً[(٣)] ، وهو قوله : ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ الآية .

قوله : ﴿لَمَدِينُونَ﴾ ؛ أي مجزيون ومحاسبون . قاله المفسرون[(٤)] ، ومضى الكلام في الدين[(٥)] .

٥٤. قال مقاتل : ثم قال المؤمـــن لإخوانه في الجنة : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لينظر كيف[(٦)] منزلة أخيه ، ونحو هذا قال الكلبي[(٧)] .

وروى عطاء عن ابن عباس قال : تقـــول الملائكة[(٨)] : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ . والظاهر هو القول الأول ، وهـــو أن قوله : ﴿قَالَ﴾ إخبار عن المؤمن الذي قصَّ خبره مع القرين . واطَّلع افتعل من الطلوع ، يقال أطلعته على الأمر فاطَّلع عليه ؛ أي أشرف .

---

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٢) انظر : المبسوط في القراءات العشر ٣١٦ ، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي ٣٨٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٠ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٥ ، والماوردي ٥/ ٤٩ ، والبغوي ٣/ ٢٨ .

(٥) مضى عند تفســـير المؤلف ـرحمه اللهـ للفاتحة . قال المؤلف ـرحمه اللهـ هناك قوله تعالى : ﴿ٱلدِّينَ﴾ ، قال الضحاك وقتادة : الدين الجزاء ، يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، تقول العرب : دنته بما فعل ؛ أي جازيته ، ومنه قوله : ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ .

(٦) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٧) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٩٤ .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره القرطبي ولم ينسبه ١٥/ ٨٢ .

قال كعب[١] : إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له في الدنيا اطَّلع من بعض تلك الكوى . ونحو هذا قال مقاتل[٢] .

وقال قتادة[٣] : بلغنا أنه سأل ربه أن يطلعه .

٥٥. قوله تعالى : ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ قال مقاتل : إنه لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون ، قالوا له إنك أعرف به منا ، فاطَّلع أنت فاطَّلع فرأى أخاه في سواء الجحيم[٤] .

قال ابن عباس والجماعة : في وسط الجحيم[٥] .

قال أبو عبيدة : «سمعت عيسى بن عمر يقول : كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سوائي أي وسطي»[٦] .

وقال أبو إسحاق : سواء كل شيء : وسطه[٧] .

وقال أهل المعاني : إنما قيل للوسط سواء لاستوائه في مكانه بأن صار بدلاً منه[٨] .

---

(١) انظر : القرطبي ١٥/ ٨٣ ، وذكره البغوي ٤/ ٢٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٦٠ عن ابن عباس ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٩٤ عن الكلبي .

(٢) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٠ ، وأورده السيوطي في (الدر) وعزاه لعبدالرزاق ـ ولم أجده في تفسيره ـ وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٠ ، والماوردي ٥/ ٥٠ ، والقرطبي ١٥/ ٨٣ .

(٦) مجاز القرآن ٢/ ١٧٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٤ .

(٨) لم أقف عليه عندهم بهذا اللفظ . انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٠٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٠ .

وروى قتادة عن خليد[١] قال : لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير خيره وسبره فعند ذلك قال : ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾[٢] ؛ أي ما أردت إلا أن تهلكني .

قال مقاتل : والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك[٣] . وقال الكلبي : لتغوين ، تقول : اترك دينك واتبعني[٤] . وقال ابن عباس : تضلني[٥] .

وقال أبو عبيدة والزَّجَّاج : ترديني وتهلكني[٦] . والإرداء : الإهلاك ردى إذا هلك ، وأرديته أهلكته ، والإغواء والإضلال معنى وليس بتفسير ، وذلك أن من أغوى إنساناً فقد أهلكه .

٥٧. قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ قال ابن عباس : يريد حيث هداني[٧] .

وقال مقاتل : يعني لولا ما أنعم الله علي بالإسلام[٨] .

وقال الكلبي : لولا النعمة بالإسلام[٩] .

---

(١) خليد بن عبدالله العصريُّ أبو سليمان البصري ، روى عن الأحنف بن قيس وعلي ابن أبي طالب ، وسلمان الفارسي ، وأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري ، وروى عنه أبان بن أبي عياش وعوف الأعرابي وقتادة وغيرهم ، روى له مسلم حديثاً وأبو داود حديث آخر ، وذكره ابن حبان في الثقات .
انظر : تهذيب الكمال ٨/ ٣٠٩ ، والتاريخ الكبير ٣/ ١٩٨ ، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠ .

(٢) تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٩ ، وزاد المسير ٧/ ٦٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٩٤ ، وعزاه لعبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦ .

(٦) مجاز القرآن ٢/ ١٧١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٦ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٦/ ٥٠ ، والقرطبي ١٥/ ٧٨٤ ، وزاد المسير ٧/ ٦٠ .

(٨) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٩) لم أقف عليه عن الكلبي ، انظر : المصادر السابقة .

﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ قالـوا جميعاً : أي معك في النار ، وهو قول مقاتل[١] وقتادة .

وقال ابن عباس : من المعذبين[٢] . ومعناه من المحضرين العذاب .

وقال أبو إسحاق : أي أُحضِرَ العذاب كما أُحضِرتَ[٣] .

وقال الفرَّاء : لكنت معك في النار محضراً[٤] .

وقال صاحب النظم : لما قال ولولا نعمة ربي ، دلَّ هذا الإحضار ليس هو لخير إنما هو لشر ، وهذا مقتضى من قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم :١٦] ، ومن قوله : ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم :٦٨] ، ومما جاء في مثله قوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات :١٢٧] ، وهـذا أيضاً مُسـتَدلٌّ عليـه بقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ ؛ لأن جزاء التكذيب لا يكـون إلا شراً . وقوله : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنـون :٩٨] ، والحضور قد يكـون للخير والشر إلا أن قوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ ﴾ يدل على أنه للشر ، ومنه قول النبي ﷺ : «إن هذه الحشوش محتضرة»[٥] ؛

---

(١) تفسير مقاتل ١١١أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٩ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٦ .

(٤) لم أقف عليه في معاني القرآن . انظر : القول منسوباً له في القرطبي ١٥/ ٨٤ .

(٥) الحديـث أخرجه الإمام أحمد في مسـنده ٤/ ٣٦٩-٣٧٣ ، وأبو داود في (سـننه) ، كتاب : الطهارة ، باب : ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ١/ ٢ رقم ٦ ، وابن ماجه في (سـننه) ، أبواب الطهارة ، باب : ما يقول إذا دخل الخلاء ١/ ٩ رقم ٢٩٤ ، والحاكم في (المسـتدرك) كتاب : الطهارة ، باب : إذا دخل أحدكـم الخلاء الغائط فليقل : أعـوذ بالله من الرجس النجس الشـيطان الرجيم ١/ ١٨٧ ، وقال : صحيح على شرط الصحيح ، ولم يخرجاه ، وافقه الذهبي .

أي الشياطين تحضر من يدخلها ، وكذلك قوله : «اللبن محتضر»[١] ، وكذلك قول الناس : حضر فلان ؛ أي دنا موته[٢] .

٥٨-٦٠ . قوله تعالى : ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ قال مقاتل : عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت فليس بتام ، فأقبل على أصحابه فقال : أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين ، فقيل له : لا موت فيها ، فقال عند ذلك : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣] . وعلى هذا كان هذا المؤمن لا يعلم أن أهل الجنة لا يموتون ، فاستفهم عن ذلك فقال : ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا﴾ سوى موتتنا التي حلت بنا في الدنيا ، وإلا هاهنا بمعنى سوى ، ونحو هذا قال الحسن[٤] ، إلا أنه جعل هذا عن قول جميع أهل الجنة لا عن قول المؤمن الواحد ، فقال : قالوا أفما نحن بميتين ؛ قيل لا . قالوا : إن هذا لهو الفوز العظيم .

وقال الكلبي[٥] : يؤتى بالموت فيذبح ، فإذا أَمِنَ أهل الجنة أن يموتوا وفرحوا بذلك قالوا : أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا ، وما نحن بمعذبين . فقيل لهم : لا . فعند ذلك قالوا : إن هذا لهو النجاة .

---

(١) ذكر هذا القول الأزهري في تهذيب اللغة (حضر) ٤/ ٢٠١ ، وابن منظور في اللسان (حضر) ٤/ ١٩٩ ، وعن الأصمعي قال : العرب تقول : اللبن محتضر فغطّه يعني تحضره الدواب وغيرها من أهل الأرض .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (حضر) ٤/ ٢٠٠ .

(٣) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٤) أورده السيوطي في الدر ٧/ ٩٥ ، وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن .

(٥) انظر : زاد المسير ٧/ ٦١ .

٦١-٦٢ . قال مقاتل[١] : ثم انقطع كلام المؤمن بقول الله : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا ﴾ النعيم الذي ذكر من قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ ، ﴿ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ .

وبعضهم[٢] يجعل هذا من كلام المؤمن للقرين ، ويجعل قوله : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا ﴾ ابتداء من كلام الله تعالى . قال أبو عبيدة : «النزول والنزل واحد ، وهو الفضل ، يقال هذا طعام له نُزُل[٣] ونَزَل ؛ أي ريع»[٤] .

قال المفضل : ليس هذا موضع الفضل[٥] . وكأنه رأى هذا غلطاً منه .

قال أبو إسحاق : «أي أذلك خير في باب الإنزال التي يتقرب بها ويمكن معها الإقامة أم نزل أهل النار . قال : ومعنى أقمت لهم نزلهم : أقمت لهم ما يصلحهم ويصلح أن ينزلوا عليه»[٦] . والنزل مما تقدم تفسيره[٧] .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيراً إلا ما ذكر الكلبي : أن ابن الزبعرى قال : أكثر الله في بيوتكم الزقوم[٨] . فإن أهل اليمن

---

(١) تفسير مقاتل ١١١أ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٢أ ، وزاد المسير ٧/ ٦١ .

(٣) في (ب) : (نزول ونزل) ، وهو خطأ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٧٠ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٦ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران :٩٨] . قال المؤلف هناك : النزل : ما يهيأ لضيفٍ أو لقومٍ إذا نزلوا موضعاً .

(٨) أكثر المفسرين ذكروا قول ابن الزبعري ، ولم أقف على من نسبه للكلبي . انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٦ ، والثعلبي ٣/ ٢٤٢أ ، والبغوي ٤/ ٢٩ ، والقرطبي ١٥/ ٨٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٦ .

يدعون التمر والزبد الزقوم . فقال أبو جهل لجاريته : ويحك زقِّمينا ، فأتته بزبد وتمر ، فقالت : تزقموا[١] .

وقال الليث : لما نزلت آية الزقوم لم يعرفه قريش ، فقدم رجل من أفريقية فسئل عنه ، فقال : الزقوم بلغة أفريقية التمر والزبد[٢] . فهذا الذي ذكروا معلوم أن الله -تعالى- لم يرد الزقوم هاهنا الزبد والتمر .

قال أهل المعاني : الزقوم ثمر شجرة مرة الطعم جداً ، من قولهم : تزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكرُّه ومشقَّة شديدة[٣] .

وقال ابن زيد : إن يكن للزقوم اشتقاق[٤] فمن التزقم ، وهو الإفراط من أكل الشيء ، حتى يُكره ذلك . يقال : بات فلان[٥] يتزقم . الكسائي وأبو عمرو : الزقم واللقم واحد ، هذا كلامهم[٦] . وإذا كان الزقم بمعنى اللقم ، كان معنى التزقم تناول الشيء بِكُرهٍ ، والزقوم ما يكره تناوله ، والذي أراد الله هو شيء مرٌ كريه يكره تناوله ، وأهل النار يُكرَهونَ على تناولِهِ ، فهم يتزقمونه على أشد كراهيته .

٦٣. قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ ذكر المفسرون وجهين للفتنة في شجرة الزقوم ؛ أحدهما : أنهم أنكروا أن يكون في النار شجرة ،

---

(١) انظر : المصادر السابقة ، القرطبي ٢٣/ ٦٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨/ ٤٤١ ، وأورده ابن منظور في اللسان (زقم) ١٢/ ٢٦٨ عن ابن سيده .

(٣) لم أقف على قول أهل المعاني .

(٤) في (ب) : (اشتقاقاً) .

(٥) جمهرة اللغة ٣/ ١٤ . انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨/ ٤٤٠ .

(٦) لم أقف على كلام الكسائي وأبو عمرو عنهما . انظر : تهذيب اللغة (زقم) ٨/ ٤٤٠ ، وجمهرة اللغة ٣/ ١٤ .

والنار تحرق الشـــجر[١] . والآخر : أنهم قالوا إن الزقوم الثمر والزبد ، وهذا قول قتادة ومجاهد ومقاتل[٢] .

قال أبو إســـحاق : فتنة ؛ أي خبرة للظالمين ، افتتنـــوا بها وكذبوا بكونها[٣] ، فصارت فتنة لهم .

٦٤. وقال قتادة : لما ذكر الله -عز وجل- هذه الشجرة افتتن بها الظلمة فقالوا : أيكون في النار شـــجرة ، والنار تأكل الشـــجرة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٤] . قال مقاتل : تخرج تنبت[٥] .

قوله : ﴿ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ قال قتادة : أخبرهم أن عذابها من النار إن عذبت بالنار[٦] . وقال الحســـن : أصلها في قعر جهنم ، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها[٧] . وعلى ما قال قتادة الآية جواب لإنكارهم بل هي إخبار عن منبت الشجرة ، وأما جواب إنكارهم فقال ابن قتيبة : «قد تكون شـــجرة الزقـــوم بيتاً من النار أو من جوهر لا يأكله النار ، وكذلك سلاسل النار وأغلالها وأنكالها وعقاربها وحياتها ، ولو كانت على ما يعلـــم لم يبق على النار ، وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا ، فالأسماء متفقة الدلالة والمعاني مختلفة ، وما في الجنة من شجرها[٨] وثمرها وفرشها وآلاتها جميعها على مثل ذلك»[٩] .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٣ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٦ ، وزاد المسير ٧/ ٦٣ .

(٢) لم أقف عليه عن قتادة . انظر : تفسير مجاهد ٥٤٢ ، وتفسير مقاتل ١١١ب ، وانظر : المصادر السابقة .

(٣) هكذا وردت في النسخ ، وفي معاني القرآن ٤/ ٣٠٦ قال : وكذبوا بها فصارت .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٩ ، والطبري ٢٣/ ٦٣ ، وزاد المسير ٧/ ٦٣ .

(٥) تفسير مقاتل ١١١ب .

(٦) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢١٦ عن قتادة نحوه .

(٧) انظر : البغوي ٤/ ٢٩ ، وزاد المسير ٧/ ٦٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٦ .

(٨) في (ب) : (أشجرها) ، وهو خطأ .

(٩) تأويل مشكل القرآن ٧٠ .

٦٥. قوله : ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قال مقاتل والكلبي : ثمرها[١] .

وقال ابن قتيبة : (سمي طلعها لطلوعه كل سنة ، ولذلك قيل : طلع النخل لأول ما يخرج من ثمره)[٢] .

قوله : ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ذكر الفرَّاء والزَّجَّاج في هذا التشبية ثلاثة اقوال :

أحدها : أن الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف ، وهي من أقبح الحيات ، وبها يضرب المثل في القبح ، كما قال الشاعر يذم امرأة :

عنجردٌ تحلفُ حينَ أحلفُ كمثلِ شيطانِ الحماطِ أعرفُ[٣]

عنجرد : سليطة وثَّابة ، والحماط : شجر ، وأعرف : ذو عرف . والعرب تقول إذا رأت منظراً قبيحاً كأنه شيطان الحماطة .

القول الثاني : وهو القول المعروف ؛ أنه أراد الشياطين بأعيانها موصوفة بالقبح وإن كانت لا تُرى ، والشيء إذا استقبح[٤] شبه بالشياطين ، فيقال : كأنه شيطان ، والشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو رُئِي لرُئِي في أقبح صوره ، قال امرؤ القيس :

أيقتلني والمشرفي مُضَاجِعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ[٥]

---

(١) تفسير مقاتل ١١١ب ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٨٨ .

(٣) البيت من الرجز ، ولم أقف على قائله ، وقد ذكره غير منسوب الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٦٤ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٦ ، والسمين الحلبي في الدر ٥/ ٥٠٥ ، والأزهري في التهذيب ٣/ ٣٧٠ ، ٤/ ٤٠٢ ، ١١/ ٣١٣ ، وابن منظور في اللسان ٣/ ٣١١ .

(٤) في (ب) : (إذا ستقبح) ، سقطت الهمزة .

(٥) البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه ٣٣ ، وتهذيب اللغة ٨/ ١٩٣ ، واللسان (غول) ١١/ ٥٠٨ ، و(شطن) ١٣/ ٣٣٨ ، وجمهرة اللغة ٩٦١ .

ولم ير الغول ولا نابها ولكن التمثيل بما يستقبح . والقول الثالث : أن رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح الرؤوس .

قال الفرَّاء : والأوجه الثلاثة تقرب إلى معنى واحد في القبح[١] .

٦٦. قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ قال مقاتل : يعني من ثمرها[٢] .

٦٧. قوله تعالى :﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال أبو إسحاق : على أكلها لشوباً[٣] . الشوب : الخلط العام في كل شيء ، وكل شيء خلطته بشيء فقد شِبْتَهُ به .

قال مقاتل وقتادة : يعني لخلطاً ومزاجاً[٤] ، وزاد مقاتل : يعني لشراباً ؛ يريد أنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم ، وهو الماء الحار الذي قد انتهى حيره ، فيشرب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً لهم .

٦٨. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ قال مقاتل : أي بعد الزقوم وشرب الحميم[٥] . وهذا يدل على أنهم على شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم ، وهو يحتمل أن يكون الحميم ، في موضع خارج عن الجحيم لشربه ، كما تورد الإبل إلى الماء ، ثم يردُون إلى الجحيم وهذا القول اعتمده مقاتل ، واحتج بقوله : ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن :٤٣] ، وهذه الآية تدل على المعنى الذي ذكرنا . وذُكِرَ في هذه الآية أوجه فاسدة تَركتُ ذكرها .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١١١ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١١١ب . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٠ ، والطبري ٢٣/ ٦٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١١١ب .

٦٩. قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ قال مقاتل : وجدوا آباءهم ضالين عن الهدى .

٧٠. قوله تعالى : ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ قال : يسعون في مثل أعمال آبائهم[١] .

وقال الكلبي : يعملون بمثل عملهم[٢] .

وقال ابن عباس وقتادة : يسرعون[٣] . وقال مجاهد : كهيئة الهرولة[٤] . قال الفرَّاء : الإهراع الإسراع فيه شبيه بالرِّعدة[٥] .

وقال الزَّجَّاج : يتبعون آبائهم اتباعاً في سرعة ، كأنهم يزعجون إلى اتباعهم ، يقال : هرع وأهرع إذا استحث وأسرع[٦] .

وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله تعالى : ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود :٧٨] .

قوله : ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس : قبل قومك[٧] . (أكثر الأولين) يريد : الأمم الخالية . قال الكلبي : من لدن آدم فهلم جرا إلى محمد ﷺ[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ١١١ب .

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٥٢٧ ، والبغوي ٤/ ٢٩ .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٨ .

(٤) تفسير مجاهد ٥٤٢ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٧ .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦ ، وانظر : الوسيط ٣/ ٥٢٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٨ ، وزاد المسير ٧/ ٦٤ .

(٨) لم أقف عليه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم ﴾ قال ابن عباس : في من مضى من الأمم[١] . ﴿ مُّنذِرِينَ ﴾ يريد : مرسلين[٢] . قال الكلبي : معنى أرسلنا فيهم كما أرسلنا إلى قومك .

قوله : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ ؛ أي الذين أنذروا العذاب .

قال مقاتل : يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة تكذيباً بمحمد ﷺ ، فنزل بهم العذاب في الدنيا كما نزل بالأمم الخالية[٣] .

ثم استثنى ، فقال : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني الأمم الموحدين ، نجوا من العذاب في الدنيا بالتوحيد . قال ابن عباس : يريد الذين استخلصهم الله من الكفر[٤] .

قال أبو عبيدة : إلا عباد الله ، نصبها الاستثناء من المنذرين[٥] . هذا قوله وهو كما ذكره مقاتل ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ﴾ استثناء من قوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾[٦] قال الكلبي : يقول دعا ربه على قومه[٧] . قال مقاتل : يعني قوله[٨] : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾

---

(١) لم أقف عليه . انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٧ ، والوسيط ٣/ ٥٢٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٩ ، وفقد ذكروا نحوه من دون نسبة لأحد .

(٢) لم أقف عليه ، انظر : المصادر السابقة .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ب .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٦ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٧١ .

(٦) قوله (نادانا) غير مثبت في (ب) ، وهو خطأ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : البغوي ٤/ ٢٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٨ ، وزاد المسير ٧/ ٦٥ .

(٨) تفسير مقاتل ١١١ب .

[القمر :١٠] . ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد فأجبته وعظم نفسه[١] . وقال أبو إسحاق : المعنى ونعم المجيبون نحن[٢] .

٧٦. وقوله : ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء : يريد من الغم العظيم وهو الغرق[٣] . وهذا مفسر في سورة الأنبياء[٤] .

٧٧. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : يريد أخرجت جميع الخلق من ذريته[٥] .

وروى الضحاك عنه قال : لما خرج نوح -عليه السلام- مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم ، فذلك قوله[٦] : ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ونحو هذا قال مقاتل[٧] .

قال الكلبي : إن أهل سفينة نوح ماتوا ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح ، فكان الناس من ولد نوح ، يدل على صحة هذا ما روى الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «سام وحام ويافث»[٨] ، فسَّر الذرية الباقية بهؤلاء الثلاثة ثم قال : «سام أب العرب ، وحام الحبش ، ويافث أب الروم»[٩] .

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : البغوي ٤/ ٣٠ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٩ ، وزاد المسير ٧/ ٦٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٧ .

(٣) تفسير مقاتل ١١١ب ، ولم أقف عليه عن الكلبي وعطاء .

(٤) الآية ٧٦ ، وقوله تعالى : ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

(٥) انظر : الماوردي ٥/ ٥٣ ، والقرطبي ١٥/ ٨٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٩ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) تفسير مقاتل ١١١ب .

(٨) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ، سورة الصافات ٥/ ٤٣ رقم ٣٢٨٣ عن سمرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن جرير الطبري ٢٣/ ٦٧ عن سمرة .

(٩) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ، سورة الصافات ٥/ ٤٣ رقم ٣٢٨٤ ، والإمام أحمد في مسنده =

٧٨-٧٩ . قوله تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال الكلبي ومقاتل وابن عباس : تركنا عليه ثناءً حسناً لا يذكره أحد إلا بخير إلى يوم القيامة[١] . وعني بالآخرين الذين يجيئون من بعده ، وذلك قوله : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ يعني بالسلام : الثناء الحسن .

قال الفرَّاء : «أي تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول : قرأت الحمد لله رب العالمين ، فتكون الجملة في معنى نصب ، وإنما يرفعها بالكلام كذلك : سلام على نوح ترفعه بعلى في تأويل نصب ، فلو كان سلاماً بالنصب كان صواباً»[٢] . وكذا هو في قراءة عبدالله[٣] .

وقال أبو إسحاق : أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة ، وذلك الذكر قوله : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ ؛ أي تركنا عليه في الآخرين أن[٤] يصلى عليه إلى يوم القيامة[٥] .

٨٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين[٦] .

= ٥/ ٩-١٠-١١ عن سمرة ، والحاكم في المستدرك كتاب التاريخ ، باب ذكر نوح النبي ﷺ ٢/ ٥٤٦ عن سمرة ، إلا أنه لم يذكر عن سام أنه أبو العرب ، ولا حام أنه أبو الحبش ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(١) تفسير مقاتل ١١١ب . انظر : البغوي ٢٣/ ٦٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٩٩ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٨٧ .

(٣) انظر : الدر المصون ٥/ ٥٠٧ ، والبحر المحيط ٧/ ٣٤٩ .

(٤) في (أ) : (أي نصلى) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢أ .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ؛ أي من شيعة نوح ؛ أي من أهل ملته ودينه ومنهاجه وسنته : ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ ، وهذا من قول قتادة ومجاهد والمفسرين[١] .

وقال الكلبي : يقول من شيعة[٢] محمد ﷺ[٣] ، وهذا اختيار الفرَّاء ، قال : يقول : إن من شيعة محمد ﷺ لإبراهيم ، يقول على دينه ومنهاجه ، فهو من شيعته وإن كان سابقاً له[٤] . وتفسير الشيعة قد سبق عند قوله : ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص :١٥][٥] .

٨٤. وقوله تعالى : ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال الكلبي ومقاتل : خالص من الشرك وهو قول المفسرين[٦] ، والمعنى أنه سلم من الشرك فلم يشرك بالله .

وقال أبو إسحاق : سليم من كل دنس[٧] . وروى عطاء عن ابن عباس ، قال : كان يحب للناس ما يحب لنفسه ، وسلم كل الناس من غشمه وظلمه ، وأسلم الله بقلبه ولسانه ولم يعدل به [أحداً][٨][٩] . ويدل على أن المراد سلامته من الشرك أنه ذكر بعد إنكاره على قومه الشرك بالله .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ٦٩ ، والثعلبي ٣/ ٢٤٢ب ، وبحر العلوم ٣/ ١١٧ ، وتفسير مجاهد ٥٤٢ .

(٢) في (أ) : (شيعته) .

(٣) انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٧ ، وزاد المسير ٧/ ٦٦ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٨٨ .

(٥) شيعة الرجل هم جماعته وأنصاره . انظر : اللسان (شيع) ٨/ ١٨٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي . انظر : الطبري ٢٣/ ٧٠ ، وبحر العلوم ٢٢/ ٤٧٦ ، والبغوي ٣/ ٣٩٠ ، وزاد المسير ٦/ ١٣٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٩) لم أقف عليه .

٨٥. قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وهذا استفهام توبيخ كأنه وبخهم على عبادة غير الله .

٨٦. فقال : ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ قال المبرِّد : الإِفك أسوأ الكذب[١] ، وهذا مما سبق تفسيره .

وقوله : ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ قال ابن عباس : تعبدون ، وتقدير الآلهة[٢] : أتأفكون إفكاً وتعبدون آلهة سوى الله[٣] .

٨٧. وقوله : ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال مقاتل والكلبي : ما ظنكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره[٤] . كأنه قال : ما ظنكم أنه يصنع بكم ، هذا قول المفسرين[٥] .

وذكر أهل المعاني وجهاً آخر : وهو أن المعنى أي شيء ظنكم بالله حيث عبدتم معه آلهة من دونه[٦] . كأنه قال أتظنون به أن عبادة غيره تجوز وأنه لا ينقم عليكم ذلك .

قال أبو إسحاق : أي شيء ظنكم برب العالمين وأنتم تعبدون غيره[٧] .

٨٨-٩٠ . قوله تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال : كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من

---

(١) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٢ ، وفتح القدير ٤/ ٤٠١ .

(٢) هكذا جاءت في النسخ ، وهو خطأ لأن السياق يقتضي أن يكون وتقدير الآية .

(٣) في (ب) : (دون الله) .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٠ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٧ ، والبغوي ٤/ ٣٠ ، والقرطبي ١٥/ ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

حيث كانوا لئلا ينكروا عليه[١] ، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة ، وأنها لا تصلح أن تعبد وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه ، فأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم ، وهو قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقد ذكرنا هذه القصة عند قوله : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ [الأنبياء :٥٧] الآيات . فنظر إلى النجوم يريهم أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها قال : إني سقيم ؛ أي سأسقم ، قال مقاتل : أي وجع غدا من نظره إلى الكواكب[٢] . فاعتل بذلك ليخلفوا[٣] من بعدهم ، وأكثر المفسرين على أن تفسير السقم هاهنا يريد مطعون ، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن إسحاق[٤] .

ومطعون من الطاعون لا من الطعن . قال ابن إسحاق : كانوا يهربون منه إذا سمعوا به . وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا ليبلغ من أصنامهم الذي يريد[٥] .

وقال عطاء عن ابن عباس : كان في ذلك الزمان نجم يطلع بالطاعون ، وكان إذا طعن رجل منهم هربوا منه[٦] . وعلى هذا معنى قوله : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ ليريهم ذلك النجم طلع وأنه مصاب[٧] بالطاعون .

---

(١) انظر : البغوي ٤/ ٣٠ ، وأورد قول ابن عباس ولم ينسبه له ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٦٧ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٧٠٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٢أ .

(٣) هكذا جاءت في النسخ ، ولعل الصواب : ليتخلف .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ٧١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٢ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٨ ، والقرطبي ١٥/ ٩٣ .

(٥) انظر : الطبري ١٢٣/ ٧١ .

(٦) انظر : البغوي ٤/ ٣١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٨ .

(٧) في (أ) : (مصيبت) ، وهو خطأ .

قال الأزهري : «وأُثْبِتَ لنا عن أحمد بن يحيى أنه قال : هو جمع نجم ، وهو ما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيده فنظر نظرة ، ونظر هاهنا تفكر ليدبر حجة فقال : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ؛ أي سقيم من كفرهم .

وقال الليث : يقال للإنسان إذا تفكر ليدبر حجة وينظر في أمرٍ كيف يدبره نظر في النجوم . قال : وهكذا ما جاء[١] عن الحسن في تفسيره ؛ أي فكر ما الذي يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم»[٢] وعلى هذا معنى ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ أي تفكر وتدبر ولم يكن هناك نجم ولا ينظر فيه . وعلى قول الضحاك[٣] واختيار الزَّجَّاج[٤] . وهذا كما أنك تقول لمريض إذا استدللت على صحته بشيء : إنك صحيح ؛ أي ستصح ، وتقول لمن رأيته على أوقات السفر : إنك مسافر[٥] ، وتأول في السقم أن كل واحد وإن كان معافىً لابد وأن يسقم ويموت ، قال الله [تعالى][٦] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر :٣٠] ؛ أي إنك ستموت في ما يستقبل . وذكرنا الكلام في هذا مستقصى عند قوله : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء :٦٣] ، قال أبو إسحاق : «أوهمهم أن به الطاعون ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ فراراً من أن يعدى إليهم الطاعون»[٧] . قال ابن عباس : مدبرين هاربين[٨] .

وقال الكلبي ومقاتل : ذاهبين إلى عيدهم[٩] .

---

(١) هكذا في النسخ ، والصواب كما في تهذيب اللغة من دون ما .

(٢) تهذيب اللغة (نجم) ١١/ ١٢٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٢ ، والقرطبي ١٥/ ٩٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٦/ ١٤٨ .

(٦) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٨ .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس ، انظر : الطبري ٢٣/ ٧٢ ، والقرطبي ١٥/ ٩٣ .

(٩) تفسير مقاتل ١١٢أ ، وانظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

٩١-٩٣ . قوله تعالى : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ قال المفسرون : مال إليها وهو ميل في خفية ، يقال راغ إليه أي مال إليه سراً[١] .

قوله : ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ قال مقاتل : يعني الطعام الذي كان بين أيديهم[٢] .

وقال أبو إسحاق والكلبي : وإنما يقول هذا استهزاء بها وتحقيراً في شأنها[٣] . وكذلك قوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ . ثم أقبل عليهم ضرباً كما قال الله : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : يريد فأقبل عليهم[٤] . وهذا معنى وليس بتفسير ، وتفسيره : مال عليهم بالضرب ، قاله الزَّجَّاج والمبرِّد وابن قتيبة .

وقال الزَّجَّاج : المعنى فمال إلى الأصنام يضربهم ضرباً[٥] .

وقال المبرِّد : مال عليهم بالضرب[٦] .

وقال ابن قتيبة : مال عليهم يضربهم[٧] .

قوله : ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ قال الكلبي : يضربهم بيمينه بالفأس[٨] .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٢ ، والقرطبي ١٥/ ٩٤ ، والدر المصون ٥/ ٥٠٨ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٢أ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩ ، ولم أقف على من نسبه للكلبي ، وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين . انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣١ ، والقرطبي ١٥/ ٩٤ ، وزاد المسير ٧/ ٦٨ ، والبحر المحيط ٧/ ٣٥١ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي ٥/ ٥٧ ، والقرطبي ١٥/ ٩٤ عن الكلبي . انظر : تفسير مقاتل ١١٢أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩ .

(٦) لم أقف على قول المبرِّد .

(٧) تفسير غريب القرآن ٣٧٢ .

(٨) لم أقف على هذا القول عن الكلبي .

قال مقاتل : يعني اليمنى[١] نحو ما قال الكلبي . وهو قول أبي إسحاق والضحاك والربيع والأكثرين[٢] .

وقال السدي بالقوة والقدرة[٣] .

وذكر أبو إسحاق[٤] القولين ، وذكر في تفسير اليمين هاهنا أنه الحلف الذي ذكره حين قال : ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ فجعل يضربها بتلك اليمين التي سبقت منه[٥] . وروى عطاء عن ابن عباس : باليمين يريد بالحق[٦] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قال الزَّجَّاج : «يسرعون ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء غدوه»[٧] . والنعامة يقال له زفوف ، قال ابن حِلِّزة[٨] :

بزفوفٍ كأنها هقلةٌ أم ... مُ رئالٍ دويَّةٌ سقفاءُ

---

(١) تفسير مقاتل ١١٢أ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩ ، والطبري ٢٣/ ٧٢ ، والماوردي ٤٥/ ٥٧ ، والقرطبي ١٥/ ٩٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩ ، وزاد المسير ٧/ ٦٨ ، والبحر المحيط ٧/ ٣٥١ .

(٣) انظر : زاد المسير ٧/ ٦٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٣٠٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩ .

(٥) انظر : بحر العلوم ٣/ ١١٨ ، والماوردي ٥/ ٥٧ ، وزاد المسير ٧/ ٦٩ ، والقرطبي ١٥/ ٩٤ .

(٦) لم أقف عليه . انظر : القرطبي ١٥/ ٩٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٣٠٧ .

(٧) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : عدوها كما في معاني القرآن وإعرابه : للزَّجَّاج ٤/ ٣٠٩ .

(٨) البيت من الخفيف وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ٢١ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٧٠ ، وخزانة الأدب ٣/ ٤١٥ ، والمغني الكبير ١/ ٣٤٣ . والزفوف بفتح الزاي : الناقة السريعة من الزفيف وهو السرعة ، والهقلة أنثى النعام ، والرئال بكسر الراء جمع رأل وهو ولد النعام ، والدوَّية بتشديد الواو منسوبة إلى الدو ، وهي الأرض البعيدة الواسعة . يقول : أستعين على قضاء همي بناقة مسرعة ، كأنها في إسراعها نعامة لها أولاد . الخزانة ٣/ ٤١٨ .

وقرأ حمزة : (يُزفون) يزفون بضم الياء ، وهي قراءة الأعمش[١] .

قال الفرَّاء : ولم يُسمع إلا زَفَّ ، يقال للرجل : جاء يزف ، ولعل قراءة الأعمش من قول العرب : أَطَرَدتَ الرجل [أي صيرته طريداً ، فيكون يزفون][٢] ؛ أي جاءوا على هذه الهيئة ، وأنشد :

تمنى حصينٌ أن يسودَ جذاعةَ فأمسى حُصينٌ قدْ أذلَّ وأقهرا[٣]

أراد صار إلى [حال][٤] قهره)[٥] .

ونحو هذا قال أبو إسحاق[٦] في قراءة حمزة .

وقال أبو عبيد : «تقول للنعامة : تَزُفُّ وهو من أول عدوها وآخر مشيها ، وجاء الرجل يَزُفُّ زفيف النعامة ؛ أي من سرعته [وأنشد][٧] للفرزدق :

وجاءَ قريعُ الشولِ قبلَ إفالها
زفيفاً وجاءتْ خلفهُ وهي زُفَفُّ»[٨] .

---

(١) انظر : الحجة ٦/ ٥٦ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٧٨ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٣) البيت من الطويل وهو للمخبَّل السعدي يهجو الزبرقان وقومه في ديوانه ٢٩٤ ، وتهذيب اللغة (قهر) ٥/ ٣٩٥ ، واللسان (قهر) ٥/ ١٢٠ .

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٨٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٠٩ .

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٨) البيت من الطويل وهو للفرزدق في ديوانه ٢/ ٢٧ ، ومقاييس اللغة :١/ ١١٩ ، ولسان العرب (قرع) ٨/ ٢٦٧ والبيت في المصادر هكذا :

وجاءَ قريعُ الشولِ قبلَ إفالها يزفُّ وجاءتْ خلفهُ وهيَ زُفَّفُ

والقريع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها ، اللسان (قرع) ٨/ ٢٦٧ . والشول جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفَّ لبنها ، اللسان (شول) ١١/ ٣٧٤ . ولم أقف على قول أبي عبيد .

وقال أبو علي : «يقال زفت الإبل تزف إذا أسرعت» .

قال الهذلي :

وزفتِ الشولَ من بردِ العشيِّ كما زفَّ النعامُ إلى حَفَّانِــه الرُّوحُ[١]

وقرأ حمزة : يُزِفُّون ، يحملــون غيرهم على الزفيف . قال الأصمعي : أزففت الإبــل إذا حملتها على أن تزف . قال : وهو سرعة الخطو ومقاربة المشيء والمفعول محذوف على قراءته ، كأنهم حملوا ظهورهم على الجد والإسراع في المشيء[٢] . هذا كلامه .

ومعنى يزفــون في قول أهل اللغــة : يسرعون ، وهو لفظ ابــن زيد[٣] من المفسرين . قال ابن عباس : يمشون إليه متعمدين[٤] .

وقال مقاتل : يمشون إلى إبراهيم ليأخذوه بأيديهم[٥] .

وقال الكلبي : يمشون إليه جميعاً يريدونه[٦] . ونحو هذا قال السدي[٧] .

والإِسراع تفسير أهل اللغة ، والمشي تفسير المفسرين .

---

(١) البيت من البســيط ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي . انظر : شرح أشــعار الهذليين ١/ ١٢١ ، وانظره منسوباً له في الحجة ٦/ ٥٦ ، والمحتســب ٢/ ٢٢١ ، واللسان (روح) ٢/ ٤٦٦ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٠٠ .
الحفَّان صغار النعام والإبل ، اللســان (حفف) ٨/ ٥٢ . والرَّوح اتســاع ما بين الفخذين أو سعة في الرجلين . اللسان (روح) ٢/ ٤٦٦ .

(٢) الحجة ٦/ ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٣٠٧ .

(٤) لم أقف عليه بهذا المعنى عن ابن عباس . انظر : القرطبي ١٥/ ٩٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٣٠٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٢أ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٠ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٤ ، والقرطبي ١٥/ ٩٥ .

وقال الضحاك : يسعون[١] .

٩٥-٩٧ . فقال إبراهيم لهم : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ بأيديكم من الأصنام ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، قال ابن عباس : يريد خلق ما تعملون فاعبدوا الذي خلقكم[٢] .

وقال الكلبي : وما تعملون بأيديكم[٣] وأنتم تعبدون هذه الآلهة التي جعلتم بأيديكم .

وقال مقاتل : يعني وما تنحتون بأيديكم من الأصنام[٤] ، فهذا يدل على أن أصنامهم كانت معمولة لهم ، اتخذوها من النحاس والحديد والخشب [فأخبر الله][٥] عنهم . وتلك الأصنام مخلوقة لله فلما لزمتهم الحجة [قالوا][٦] قوله : ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ قال ابن عباس : بنوا حائطاً من حجارة وطين طوله في السماء ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً ، وملؤوه ناراً وطرحوه فيها[٧] . وذلك قوله : ﴿ فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ وهي النار العظيمة .

قال أبو إسحاق : كل نار بعضها فوق[٨] جهنم . والألف واللام في الجحيم بدل عن الكناية ، والمعنى : في جحمه ؛ أي في جحيم ذلك البنيان ، وهو النار التي توقد فيه .

---

(١) انظر : الماوردي ٥/ ٥٧ ، والقرطبي ١٥/ ٩٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٧) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٨٠٤ .

(٨) هكذا وردت العبارة في النسخ ، وهو وهم من النساخ ، ففي العبارة سقط ، وهي في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ هكذا : كل نار بعضها فوق بعض . وهي حَجمٌ .

٩٨. قوله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ قال مقاتل: شراً أن يحرقوه بالنار[١].

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ قال الكلبي: المدحوض حجتهم يعني أنه علاهم[٢] بالحجة، حيث رد الله كيدهم وجعل النار عليه برداً وسلاماً، وهذا معنى قول المفسرين.

قال مقاتل: علاهم إبراهيم فسلمه الله وحجزهم عنه فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله[٣].

٩٩-١٠٠. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ قال ابن عباس: مهاجر إلى ربي، والمعنى أهجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني كما قال الله[٤]: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ قال مقاتل: يعني إلى رضاء ربي بأرض المقدس[٥]. وهو أول من هاجر من الخلق[٦]. وقال الكلبي: ذاهب بعبادتي إلى ربي[٧]. وهذا معنى قول قتادة: ذاهب بعمله وقلبه وهمته[٨]، وعلى هذا ذهابه إليه بالعمل، وعلى القول الأول بالهجرة، وهو الصحيح إن شاء الله؛ لأن المراد الإخبار عن هجرته أرض قومه وذهابه إلى حيث أُمِرَ من الشام.

---

(١) تفسير مقاتل ١١٢ب.
(٢) لم أقف عليه عن الكلبي. انظر: الطبري ٢٣/ ٧٥، والقرطبي ١٥/ ٩٧، وزاد المسير ٧/ ٧٠.
(٣) تفسير مقاتل ١١٢ب.
(٤) انظر: مجمع البيان ٨/ ٧٠٤، وذكر القول ولم ينسبه لأحد الطبري ٢٣/ ٧٥، والماوردي ٥/ ٥٩.
(٥) تفسير مقاتل ١١٢ب.
(٦) وبهذا قال مقاتل. انظر: تفسيره ١١٢ب، والقرطبي ١٥/ ٩٧.
(٧) انظر: الطبري ٢٣/ ٧٦، ومجمع البيان ٨/ ٧٠٤.
(٨) انظر: الطبري ٢٣/ ٧٦، وزاد المسير ٧/ ٧١.

قوله : ﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال ابن عباس : سيرشدني[١] .

وقال الكلبي : سينجيني منهم[٢] .

وقال مقاتل : سيهدين لدينه[٣] . وقول الكلبي أقرب إلى المعنى ؛ لأن المراد سيهدين إلى حيث أمرني بالمصير إليه ، وفي ذلك إنجاء له منهم ، وقول مقاتل سيهدين لدينه فيه بعد ؛ لأنه كان على الدين في ذلك الوقت ، إلا أن يحمل على التثبيت على الدين والهداية ، وقول ابن عباس يحتمل المعنيين : الإرشاد إلى الدين ، والإرشاد إلى الطريق ، والأولى أن يحمل على الإرشاد إلى طريق مُهَاجَرِهِ .

قال مقاتل : فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه[٤] الولد ، فقال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال المفسرون وأصحاب المعاني : الآية مختصرة والتقدير هب لي ولداً صالحاً من الصالحين[٥] . قال الفرَّاء : «وهذا بمنزلة قولك أدن فأصب من الطعام يجتزأ بمنْ عن المضمر»[٦] .

١٠١ . فاستجاب الله له بقوله : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ قال الكلبي : يقول بغلام في صغره حليم في كبره[٧] .

---

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : الماوردي ٥/ ٥٩ ، وزاد المسير ٧/ ٧١ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٤) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٦ ، والثعلبي ٣/ ٢٤٣ب ، وبحر العلوم ٣/ ١١٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٨٩ .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٩ ، والبغوي ٤/ ٣٢ .

قال أبو إسحاق : «هذه البشارة تدل على أنه غلام ، وأنه يبقى حتى يوصف بالحلم»[١] ، والمعنى أنه لما بشر بغلام دل على أنه مفسر بابن ذكر ، ولما وصف بالحلم دل على أنه ينتهي في السن حتى يبلغ الحلم ، هذا معنى ما ذكره الكلبي وأبو إسحاق ونحو هذا قال[٢] : يريد في كبره .

وقال مقاتل : يعني حليماً والحلم من موجبات العلم فهو يدل على العلم[٣] .

وقال أهل المعاني : الحليم المتأني في الأمر وضده السفيه ، فيجوز أن يكون غلاماً حليماً في حالة واحدة[٤] .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ قال مجاهد : لما شب وأدرك سعيه سعى إبراهيم[٥] . وهذا قول أهل المعاني . قال الفرَّاء : يقول طاق أن يعينه على عمله وسعيه وكان يومئذٍ ابن ثلاثة عشر سنة[٦] .

وقال الزَّجَّاج : أدرك معه العمل[٧] .

وقال أبو عبيدة : أدرك أن يسعى على أهله معه وأعانه[٨] .

وقال ابن قتيبة : أي بلغ أن يتصرف معه ويعينه[٩] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ .
(٢) هكذا في النسخ ، والذي يظهر أنه سقط القائل ، وهذا القول ذكره الفرَّاء في معاني القرآن له ٢/ ٣٨٩ .
(٣) تفسير مقاتل ١١٢ب .
(٤) لم أقف عليه عند أهل المعاني .
(٥) تفسير مجاهد ٥٤٤ .
(٦) هكذا هي في النسخ ، والصواب ثلاث عشرة سنة . انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٩ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ .
(٨) مجاز القرآن ٢/ ١٧١ .
(٩) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

وروي عن ابن عباس أنه قال : يعنـــي المشي مع أبيه إلى الجبل[١] . وهو قول مقاتل[٢] . وكان أبوه قد ذهب به معه إلى الجبل .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد العمـــل لله تعالى وهو الاحتلام[٣] . وهذا قـــول الكلبي ، قال في معنى الســـعي : إنه العمل لله[٤] . ونحو هذا قال الحســـن ومقاتـــل وابن زيد ، قالوا : هو العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة ، وهو ما بعد البلوغ[٥] .

قوله : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ قال مقاتل : رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متتابعات[٦] .

وقال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله أيقاظاً ورقوداً[٧] ، وذلك أن الأنبياء لا تنام قلوبها . وقال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحي .

وقال السدي : كان إبراهيم حين بشر بإسحاق قبل أن يولد له قال : هو إذاً لله ذبيـــح[٨] . فقيل لإبراهيم في منامه : قد نذرت نذراً فَفِ بنذرك ، فلما أصبح قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ .

---

(١) انظر : البغوي ٤/ ٣٢ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ١١٩ ، ولم ينسبه لأحد .

(٢) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٣) انظر : القرطبي ١٥/ ٩٩ ، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٠٣ ولم ينسبه لأحد .

(٤) انظر : البغوي ٤/ ٣٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٠٦ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٧ ، والبغوي ٤/ ٣٢ ، والقرطبي ١٥/ ٩٩ .

(٦) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٧) انظـــر : القرطبي ١٥/ ١٠١ ، وقد ذكر القول مقاتل في تفســـيره ١١٢ب ، وذكره البغوي ٤/ ٣٣ عن مقاتل .

(٨) انظر : البغوي ٤/ ٣٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٢ .

وقال أبو إسحاق : رؤيا الأنبياء وحي بمنزلة الوحي إليهم في اليقظة[١] . هذا كلام أهل التفسير في ظاهر [الرؤيا][٢] . وظاهر اللفظ دل على أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه ، والتفسير يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أنه يذبح ابنه في اليقظة ، فيكون تقدير اللفظ : إني أرى في المنام ما يوجب أني أذبحك ، فموجب الذبح رُئِيَ في المنـــام لا الذبح ، وذكر في الظاهر أنه رأى الذبح ؛ لأن موجب الذبح كأنه رأى الذبح حيث لا يجوز له أن يخالف ذلك ، ألا ترى أن ابنه قال له : ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ فدل أنه أمر في المنـــام بذبح ابنه . وقد صرح مقاتل بما ذكر فقال : يقول إني أمرت في المنام أني أذبحك[٣] .

وقال ابن قتيبة : «لم يرد أنه ذبحه في المنام ، ولكنه أمر في المنام بذبحه ، فقال : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ ؛ أي أني سأذبحك ، ومثل هذا رجل رأى في المنام أنه يؤذن ، والأذن دليل الحج ، فقال : إني رأيت في المنام أني أحج أي سأحج»[٤] .

واختلفوا في الذبيح من هو من ابني إبراهيم ، فالأكثرون على أنه إســحاق ، وهو قول علي وابن مســعود وكعب وقتادة ومجاهد في بعض الروايات وعكرمة وابن عباس ، وهؤلاء قالوا : كانت هذه القصة بالشام[٥] .

وقال ســعيد بن جبير لما رأى إبراهيم في المنام ذبح إســحاق ، سار به مسيرة شهر في غداة واحدة ، حتى أتى المنحر ، فلما صرف الله عنه الذبح وذبح الكبش ، سار به مسيرة شهر في غداة واحدة طويت له الأودية والجبال[٦] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٨١ ، ٨٢ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٩ ، وتفســير الثعلبــي ٣/ ٢٤٣ب ، والقرطبي ١٥/ ٩٩-١٠١ ، والبغوي ٤/ ٣٢ .

(٦) انظــر : البغــوي ٤/ ٣٢ ، والقرطبــي ١٥/ ١٠٠ ، وأورده الســيوطي في الــدر ٧/ ١٠٩ ، وعزاه لعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد عن سعيد بن جبير .

وقال آخرون : الذي أمر بذبحه إسماعيل ، وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح ، وابن عباس في رواية عطاء ، وعامر ومجاهد بن كعب ومحمد بن إسحاق[١] . وسياق هذه الآيات تدل على أنه إسحاق ؛ لأنه قال : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ، ولا خلاف[٢] أن هذا إسحاق . قال : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ فعطف بقصة الذبح على ذكر إسحاق ، وقوله بعد ذكر هذه القصة : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ قال عكرمة : بشر بنبوته[٣] .

وقال قتادة : بعد الذي كان من أمره[٤] ، غير أن محمد بن كعب احتج على أنه إسماعيل بقوله : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ قال : يقول بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ولد من الله من الموعود ما وعده[٥] . وقد قال أبو إسحاق : «الله أعلم أيهما الذبيح»[٦] .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ٨٢ ، وبحر العلوم ٣/ ١١٩ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٣ب ، والقرطبي ١٥/ ٩٩- ١٠١ ، والبغوي ٤/ ٣٢ .

(٢) قول المؤلف -رحمه الله- هنا ولا خلاف أن هذا إسحاق . فيه نظر إذ الخلاف مشهور جداً في تحديد الذبيح ، وإن كان الراجح -والله أعلم- أنه إسماعيل كما سيأتي معنا .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ٨٩ ، والقرطبي ١٥/ ١٠١ ، وزاد المسير ٧/ ٧٨ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٤ ، وزاد المسير ٧/ ٨٧ .

(٥) أخرجه : الطبري في تفسيره ٢٣/ ٨٤ ، والحاكم في المستدرك : كتاب التاريخ ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما ٢/ ٥٥٥ ، ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٠٦ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد عن محمد بن كعب .

(٦) اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تعيين الذبيح من هو من ولدي إبراهيم ، هل هو إسماعيل أم إسحاق إلى ثلاثة أقوال : فمنهم من يرى أنه إسماعيل ، وقد ذكر المؤلف بعضاً ممن قال بهذا القول . ومنهم من يرى أنه إسحاق ، وقد ذكر المؤلف كذلك بعضاً ممن قال بهذا القول ، وذهب بعضهم إلى التوقف في المسألة نظراً إلى طول الخلاف فيها وقدمه ، ولعدم وجود دليل صريح وواضح من الكتاب أو السنة حسب فهمهم يفيد تعيين الذبيح من هو ، ومن هؤلاء الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله ، يقول في آخر كتابه القول الفصيح في تعيين الذبيح ٨٦ بعد أن ذكر القولين : وأنا الآن متوقف في ذلك ، والله أعلم . وكذا الشوكاني ، فقد قال في فتح القدير ٤/ ٣٩٢ بعد أن ذكر القولين وأدلة كل فريق ، قال : وكل ذلك يحتمل المناقشة . =

= ولعل الراجح ـ والله أعلم ـ هو القول القائل بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، والقائلون بهذا القول يستدلون بالشواهد التاريخية ، وبما عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل ، وكذلك بالقرآن .

ونحن هنا نذكر أدلة هؤلاء من وجهة النظر الإسلامية بعيداً عن الشواهد التاريخية وما يستنبط من التوراة والإنجيل ، وذلك من أجل الاختصار والإيجاز وبُعداً عن الإطالة ، ومن أراد الاستزادة من الأدلة فليرجع إلى المراجع التي سوف أشير إليها بعد ذكر أدلة القول الراجح .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٧١ : وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ، يقول : هذا القول ـ أن الذبيح إسحاق ـ إنما هو متلقى من أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده . والذي غرَّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف . . . ثم قال : وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله ـ تعالى ـ قد بشَّر أم إسحاق به وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود ٧٠-٧١] فمحال أن يبشرها بأنه يولد له ولد ثم يأمر بذبحه .

ويدل عليه أيضاً أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات :١٠٣-١١١] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات :١١٣] ، فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أُمِرَ به ، وهذا ظاهر جداً في أن المُبَشَّر به غيرُ الأول بل هو كالنص فيه . . .

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار ، تذكيراً بشأن إسماعيل وأمِّه ، وإقامة لذكر الله ، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة من دون إسحاق وأمه . . .

وأيضاً فإن الله ـ سبحانه ـ سمى الذبيح حليماً ؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، ولما ذكر إسحاق سماه عليماً في قوله : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات :٢٨] .

هذه بعض أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام . وأما القائلون بأنه إسحاق ؛ فاستدلوا بآثار عن بعض الصحابة والتابعين ، وهي ضعيفة كلها لا ترقى لقوة أدلة مخالفيهم .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/ ١٧ بعد أن ذكر أقوال بعض الصحابة والتابعين في أن الذبيح إسحاق يقول : وهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في الدولة =

قوله : ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ وقرأ حمزة والكسائي : (تُري) بضم التاء وكسر الراء . قال إبراهيم : «ماذا تُرى تأمر وماذا تَرى تشير»[١] .

قال أبو علي الفارسي : «من فتح التاء كان مفعول ترى أحد شيئين ؛ أحدهما : أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد ، فيكونان في موضع نصب بأنه مفعول ترى ، والآخر أن يكون ذا بمنزلة الذي ، والهاء محذوفة من الصلة ، ويكون ترى على هذه القراءة الذي معناه الرأي وليس إدراك المرى[٢] كما تقول فلان يرى ما رأى أبو حنيفة[٣] . والتقدير ما الذي تراه ، فتصير ما في موضع ابتداء ، والذي في موضع خبره ، ويكون المعنى : ما الذي تذهب إليه في ما ألقيت إليك ، هل تستسلم وتتلقاه بالقبول أو تأتي غير ذلك . وأما قول حمزة : ماذا تُري فإنه يجوز أن يكون ماذا بمنزلة اسم واحد ، ويكون في موضع نصب ، والمعنى : أجَلَداً ترى على ما تُحملُ عليه أم خَوَاراً[٤] .

= العمرية جعل يحدث عمر ـرضي الله عنهـ عن كتب قديمة ، فربما استمع له عمر ـرضي الله عنهـ فترخص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها ، وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده . اهـ .

انظر : في هذه المسألة بتوسع : تفسير ابن جرير الطبري ٢٣/ ٨١ وما بعدها ، مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٣٣١ وما بعدها ، روح المعاني ٢٣/ ١٣٤ ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٧١ وما بعدها ، تفسير ابن كثير ٤/ ١٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ١٠٨ ، وتفسير القاسمي محاسن التأويل ٨/ ١٢٠ ، والقول الفصيح في تعيين الذبيح للسيوطي ، ومعه كتاب القول الصحيح في تعيين الذبيح لإبراهيم الحازمي ، كُتيب من القطع الصغير بحدود ٩٠ صفحة ، ذكر فيه مؤلفه ـرحمه اللهـ ومحققه ـوفقه اللهـ الأقوال وأدلتها بشيء من التوسع .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ .

(٢) في الحجة : (إدراك الحاجة) .

(٣) في (أ) : (أبي) ، وهو خطأ .

(٤) في (ب) : (خوراً) ، وهو خطأ .

ويجوز أن يجعل مـا مبتدأ وذا بمنزلة الذي ويعود إليـه الذكر المحذوف من الصلة ، والفعل منقول من رأى زيد الشيء وأريته الشيء إلا أنه من باب أعطيت ، فيجوز أن يقتصر على أحد المفعولين دون الآخر كما أن أعطيت كذلك»[١] . وقال الفرَّاء : ماذا ترى معناه : ماذا ترى من خبرك أو جزعك[٢] .

وقال أبو إسـحاق : ولا أعلم أحداً قال هذا ، وفي كل التفسير ماذا ترى ماذا تشـير[٣] . واختار أبو عبيدة القراءة الأولى ، وقال : لا يعلم أحداً قال في موضع المشورة والرأي ما ترى في كذا وكذا ، وإنما يقولون هذا في رؤية العين ، ولا موضع لرؤية العين هاهنا[٤] .

وأما وجه مشاورته الابن في ما أمر به ، فيجوز أن يكون أمر بأن يطلع ابنه على ذلك ويشـاوره ليعلم صبره لأمر الله ، فيكون في ذلك قرة عين لإبراهيم ؛ حيث يـرى من ابنه طاعته في أمر الله وصبره على أعظم المكروه ، وهو القتل في رضا الله ورضا أبيه ، ويكـون فيه أيضاً ثواب للابن وثناء حسـن يبقى له ، حيث قال في جوابه لأبيـه[٥] : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ قال ابن عباس : يريد ما أوحي إليك من ربك[٦] .

---

(١) الحجة ٦/ ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٩٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٠ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٣ ، وفتح القدير ٤/ ٤٠٤ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٧٩ ، والماوردي ٥/ ٦٠ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٣ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٥/ ٦١ ، والبغوي ٤/ ٣٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٣ .

قال أبو علي : «التقدير ما تؤمر به ، فحذف الجار فوصل الفعل إلى الضمير ، فصار تؤمره ، ثم حذفت الهاء من الصلة كما حذفت من قوله[١] : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل :٥٩] ؛ أي اصطفاهم»[٢] .

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على بلاء الله .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ قال المبرِّد : استسلما لأمر الله وأذعنا له[٣][٤] .

قال ابن قتيبة نحوه ، قال : ومثله سلما[٥] .

وقال الفرَّاء : فوَّضا وأطاعا . وفي قراءة عبدالله : (فلما سلما)[٦]

وقال أبو إسحاق : استسلم للذبح واستسلم إبراهيم لذبحه[٧] .

قال مقاتل : يقول سلما لأمر الله[٨] .

وروى إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه كان يقرأ : فلما سلما وأسلم الأمر لله ، بمعنى سلم[٩] ، كما تقول إذا أصابك مصيبة : فسلم لأمر الله ؛ أي فارضى به ، ويكون أسلم بمعنى استسلم ؛ أي دخل في السلم ، كأنه انقاد ورضي .

---

(١) زيدت من هنا في (ب) .
(٢) الحجة ٦/ ٩٩ .
(٣) في (أ) : (وأذعناه) ، وهو خطأ .
(٤) لم أقف عليه .
(٥) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .
(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٩٠ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١١ .
(٨) تفسير مقاتل ١١٢ب .
(٩) تروى هذه القراءة كذلك عن ابن مسعود . انظر : القرطبي ١٥/ ١٠٤ ، والمحتسب ٢/ ٢٢٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٠ .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : أسلم إسماعيل صحبته ونفسه لله عز وجل ، وأسلم إبراهيم ابنه وبكره واحده[١] لله ، وعلى هذا الإسلام بمعنى الترك .

وقوله : ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ قال أبو عبيدة : أي صرعه ، وللوجه جبينان والجبهة بينهما ، ونحو هذا قال المبرِّد ، وأنشد :

شككتُ لهُ بالرمحِ جنبي قميصهِ فخرَّ تليلاً لليديـــنِ وللفمِ[٢][٣]

وقال ابن قتيبة : صرعه على الأرض على أحد جنبيه[٤] .

وقـــال ابن الأعرابي : التليـــل والمتلول المصروع ، والمتلى الـــذي يتلى به ؛ أي يصرع[٥] . قال ابـــن عباس : أضجعه عـــلى جنبيه عـــلى الأرض[٦] . وهو قول قتادة[٧] . وقال مقاتل : كبَّه لجبهته[٨] .

وقال مجاهد وابن جريج : وضع وجهه للأرض[٩] . والصحيح أنه أضجعه على أحد شقيه ؛ لأن الجبين غير الجبهة كما ذكرنا .

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وهذا القول نســبه أكثر المفسرين لقتادة ، وزاد الطبري نســبته لعكرمة . انظر : الطبري ٢٣/ ٧٩ ، وتفســير الثعلبي ٣/ ٢٤٧أ ، والماوردي ٥/ ٦١ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢١ ، والبغوي ٤/ ٣٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٧١ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لجابر بن جني في شرح المفضل ٤٣٤ ، ولربيعة بن مكدم في الأغاني ١٦/ ٧٥ ، ولعصام بن المقشعر في معجم الشعراء ٢٧٠ ، وللأشعث الكندي في الأزهية ٢٨٨ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٧٣ .

(٥) تهذيب اللغة (تل) ١٤/ ١٥٢ . انظر : اللسان (تلل) ١١/ ٧٨ .

(٦) انظر : الماوردي ٥/ ٦١ ، والبغوي ٤/ ٣٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٤ .

(٧) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥١ ، والطبري ٢٣/ ٨٠ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٤ .

(٨) تفسير مقاتل ١١٢ب .

(٩) انظر : تفسير مجاهد ٥٤٤ ، والطبري ٢٣/ ٨٠ ، ولم أقف عليه عن ابن جريج .

١٠٤-١٠٥ . ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ هـذا جواب فلما عند الفـرَّاء والكوفيين ، والـواو مقمحة زائدة ، وعنـد البصريين لا يجوز ذلك . والجواب مقدر على تقدير : فلما فعل ذلك سَعُدَ وأتاه الله نبـوة ولده ، وأجزل له الثواب في الآخـرة . وذكر[١] ذلك أبو إسحاق[٢] . وهذه المسألة ذكرناها في مواضع .

قـال المفسرون : لما أضجعه للذبح نودي مـن الجبل : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا .

قال مقاتل : عـرف الله منهما الصدق[٣] . يعنـي أن إبراهيم قصد الذبح بما أمكنـه ، وابنه طاوعه ومكن من الذبح ، وعـرف الله منهما الصدق فلذلك قال : ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ ، وإن لم يتحقق الذبح[٤] .

وقـال قوم إنه [رأى في][٥] المنـام معالجة الذبح من شـد اليدين والرجلين وإمرار السـكين على الحلق ، وفعل في اليقظة ما رأى في النوم[٦] فلذلك قيل له : ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ فهذان وجهان في قوله : ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ .

وذكر أهل المعاني أوجهـًا ، منها : أنه أمر في المنام أن يقعد منه مقعد الذابح ، وينتظر الأمر بإمضاء الذبح ، ففعل ما رأى في منامه ، وهو أنه أمر بذلك على شرط التحلية والتمكين ، وقصد ذلك ولكن لم يمكن منه[٧] .

---

(١) في (ب) : (وذلك) ، وهو خطأ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١١ .
(٣) تفسير مقاتل ١١٢ب .
(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ٨٠ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢١ ، وزاد المسير ٧/ ٨٦ .
(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٦) انظر : الماوردي ٥/ ٦١ ، وزاد المسير ٧/ ٧٦ .
(٧) لم أقف عليه عند أحد من أهل المعاني . انظر : الماوردي ٥/ ٦١ ، وزاد المسير ٧/ ٧٦ .

قال السدي : ضرب الله على قفاه صفحة نحاس ، فجعل يحز ولا يقطع شيئاً ، ونودي من الجبل : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا[١] .

وقال محمد بن إسحاق : لم يحك السكين وانقلبت من حدة[٢] إلى مثنة[٣] . ومنها أنه ذبح ووصل الله ما قرى بلا فصل[٤] . وهذا أضعف الوجوه ؛ لأنه لم يثبت بهذا رواية[٥] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ ابتداء إخبار من الله ، وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي نودي به إبراهيم ، والمعنى : أنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه وطاعته في أمر الذبح ومضيه على أمر الله العفو عن ابنه إسحاق[٦] .

١٠٦. قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ ؛ أي الاختيار الظاهر ، حيث أخبره بذبح بكره وواحده ، وهذا معنى قول ابن عباس وغيره ، جعلوا البلاء هاهنا بمعنى الاختبار[٧] .

---

(١) انظر : البغوي ٤/ ٣٤ ، ولم أقف عليه عن السدي عند غيره ، وذكره بعض المفسرين غير منسوب لأحد . انظر : الماوردي ٥/ ٦١ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢١ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٤ .

(٢) في (ب) : (فنجده) ، وهو خطأ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكره الماوردي ٥/ ٦١ .

(٥) هذه الآثار التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في قصة الذبح وكيف تمت وكيف امتنع الذبح ، هل قطع ثم عاد ما قُطع ، أو لم تتمكن السكين من القطع إلى غير ذلك ، كلها روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها ، كما قال جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٨/ ١٢٠ قال : يروي المفسرون في قصة الذبح روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها ، بل ولم تحسن ، فهي معضلة تنتهي إلى السدي وكعب . والسدي حاله معلوم في ضعف مروياته وكذلك كعب اهـ .
ولعل أكثر ما يروى في هذه القصة هو مما كان يحدِّث به كعب الأحبار حينما أسلم .

(٦) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٧ ، وينسب هذه القول أيضاً لابن زيد وابن قتيبة ، انظر : الطبري ٢٣/ ٨٠ ، والماوردي ٥/ ٦٢ ، وزاد المسير ٧/ ٧٧ .

وقال مقاتل : البلاء النعمة ، وهو أن كف عن ولده وفدي بالكبش[١] . وقد ذكرنا معنى البلاء عند قوله : ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة :٤٩][٢] .

١٠٧ . قوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ أي جعلنا الذبح فداء له وخلصناه من الذبح ، والذبح مصدر ذبحت ، والذبح ما يذبح . واختلفوا في هذا الذبح ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الكبش الذي تقرب به هابيل بن آدم إلى الله تعالى فقبله ، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به إسماعيل[٣] . وقال آخرون : أرسل إليه كبشاً من الجنة قد رعى أربعين خريفاً ، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بكبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً ، وهو قول معمر وقتاد[٤] .

وروى جعفر بن إياس[٥] عن ابن عباس قال : خرج عليه كبش من الجنة ، وقد رعاها قبل ذلك بأربعين خريفاً[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٢) انظر : البسيط : رسالة دكتوراه إعداد : د .محمد الفوزان ٣/ ٨٦٦ .

(٣) انظر : الماوردي ٥/ ٦٢ ، والبغوي ٤/ ٣٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٧ .

(٤) انظر : المصادر السابقة ، تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٢ .

(٥) جعفر بن إياس اليشكري البصري الواسطي ، أحد الأئمة الحفاظ ، حدَّث عن بشر بن ثابت والشعبي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وطاووس وعن خلق غيرهم . وعنه الأعمش وشعبة وأبو عوانة وشعبة الحجاج وغيرهم . وثَّقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن معين وغيرهم ، مات سنة ١٢٤هـ ، وقيل ١٢٣ ، وقيل ١٢٥هـ . انظر : تهذيب الكمال ٥/ ٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٥ ، والطبقات الكبرى ٧/ ٢٥٣ .

(٦) انظر : الماوردي ٥/ ٦٢ ، والبغوي ٤/ ٣٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٧ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٢ كلهم عن ابن عباس .

وقال السدي : نودي إبراهيم فالتفت فإذا هو بكبش أملح انحط من الجبل ، فقام عند ذلك إبراهيم فأخذه وذبحه وخلى عن ابنه ، وأعتق ابنه ، وقال : يا بني اليوم وُهِبتَ لي ، قال : وبلغنا أن الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً[١] .

وقال مقاتل : وكان رعى في الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح ، وكان من غير نسل[٢] . وقال آخرون : كان ذلك الذبح ، وعلا انحط عليه من الجبل .

قال الحسن : ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى ، انحط عليه من جبل ثبير[٣] ، فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه[٤] ، فضحوا عباد الله ، وأعلموا أن الذبح يدفع منية السوء .

وروي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال في قوله : (بذبح) قال : كبشٌ أعين أقرن أملح مربوط بسمرة في بثير[٥] . وهذا قول الكلبي في رواية أبي صالح عن ابن عباس[٦] .

---

(١) لم أقف عليه عن السدي .

(٢) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٣) ثبير : جبل بمكة يشرف على منى . انظر : معجم البلدان ٢/ ٧٣ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ب ، والبغوي ٤/ ٣٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٠٧ ، وزاد المسير ٧/ ٧٧ ، وابن كثير ٤/ ١٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٠٨ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٨٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٦ .

(٦) انظر : المصادر السابقة ، تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ب . وقد أورد هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٧/ ١٠٥ ، وعزاه لأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعبه عن ابن عباس .

وقولــه : ﴿عَظِيمٍ﴾ قال مجاهــد : متقبل[١] . وعلى هذا ســمي عظيماً لعظم قدره ، حيث قبل فداء عن إبراهيم . وعند غيره سمي عظيماً لعظمه وسمنه ، قال سعيد بن جبير : حق له أن يكون عظيماً وقد رعى في الجنة أربعين خريفاً[٢] .

١٠٨. قولــه : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ مفــسر في قصة نــوح[٣] إلى قوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وقد ذكرنا في هذه القصة ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، والمراد بذلــك جزاء إبراهيم وابنه حين أطاعا في مــا ابتليا به ، فجوزيا بالعفو والفداء .

١١٠. والمراد بقولــه : ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ جزاء إبراهيــم وحده . قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في الناس[٤] .

١١٢. قولــه تعــالى : ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، من جعل الذبيح إسماعيل جعل معنى قوله : ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ أن الله تعالى بشره بولد نبي بعد هذه القصة جزاءً لطاعته ، ومن جعل الذبيح إســحاق قال : بشر بنبوته ، وهذا قول عكرمة[٥] .

ونحو ذلك قال مقاتل[٦] : بشر إبراهيم بنبوة إسحاق بعد العفو عنه .

١١٣. قولــه تعالى : ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ يعني كثــرة ولدهما وذريتهما ، وهم الأسباط كلها .

---

(١) تفسير مجاهد ٥٤٥ .
(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ٨٧ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ب ، وزاد المسير ٧/ ٧٧ .
(٣) عند الآية ٧٨ من هذه السورة .
(٤) تفسير مقاتل ١١٣أ .
(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ٨١ ، والبغوي ٤/ ٣٤ ، وزاد المسير ٧/ ٧٢ .
(٦) تفسير مقاتل ١١٣أ .

١١٤ـ١١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ ؛ أي أنعمنا عليهما بالنبوة ، قاله مقاتل[١] وغيره[٢] . وقوله : ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أكثر المفسرين على أنه الغرق ، أغرق الله فرعون وقومه ونجى بني إسرائيل . ويذهب بعضهم إلى أنه نجاهم من استعباد فرعون إياهم ، وما كان يصيبهم من جهته من البلاء[٣] ، وهو قوله : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة :٤٩] .

١٢٣ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أكثر أهل التفسير على أن إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وقصته مشهورة مع قومه ، وروي عن ابن مسعود أنه قرأ : (وإن إدريس) ، وقال : إلياس هو إدريس[٤] نحو إسرائيل ويعقوب . وهذا قول عكرمة[٥] . وقرأ ابن عامر : (وَإِنَّ اليَاسَ) بغير همز ، وله وجهان ، أحدهما : أنه حذف الهمزة من إلياس حذفاً كما حذفها ابن كثير من قوله : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ [المدثر :٣٥] وكقول الشاعر :

ويلُمِّها في هواء الجو طالبةً[٦]

---

(١) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٢) ذكر هذا القول كثير من المفسرين من دون نسبة لأحد . انظر : الطبري ٢٣/ ٩٠ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ب .

(٣) انظر : المصادر السابقة ، وكذلك : البغوي ٤/ ٣٥ ، وزاد المسير ٧/ ٧٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١١ .

(٤) انظر : الماوردي ٥/ ٦٤ ، والبغوي ٤/ ٣٦ ، وزاد المسير ٧/ ٧٩ .

(٥) انظر : البغوي ٤/ ٣٦ ، والقرطبي ١٥/ ١١٥ .

(٦) هذا صدر بيت لامرئ القيس وعجزه :

ولا كهذا الذي في الأَرْضِ مَطْلوبُ

والبيت من البسيط وهو لامرئ القيس في ديوانه ٢٢٧ ، وخزانة الأدب ٤/ ٩١ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥ ، والكتاب :٢/ ٢٩٤ .

والشاهد فيه قوله : ويلمها والأصل ويل أمها فحذف الهمزة استخفافاً ، ثم أتبع حركة اللام حركة الميم .

وسنذكر الكلام هناك إن شاء الله تعالى[١] .

والآخر : أنه جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله : (وليسع) . والوجه قراءة العامة ؛ لأن إلياس ليس بموضع تحذف فيه الهمزة ، إنما هو موضع تجعل فيه بين بين في التخفيف كما يخفف سئم وبئس ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [البقرة :٢٥٨] . ويقوي ثبات الهمزة قوله : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ ، فهذا يدل على أن الهمزة ثابتة في إلياس بثبوتها في آل ياسين[٢] .

١٢٤. قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ، إذ يتعلق بمحذوف ، كأنه قيل لمحمد عليه السلام : اذكر لقومك إذ قال لقومه ونحو هذا كثير ، وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة :٣٠] الآية . قال ابن عباس : ألا تخافون الله[٣] !

وقال مقاتل : ألا تعبدون الله[٤] !

وقال الكلبي : ألا تتقون عبادة غير الله[٥] !

---

(١) ذكر المؤلف هناك كلاماً نقله عن أبي علي الفارسي . انظر : الحجة ٦/ ٣٣٩ .

(٢) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٧٩ ، والحجة ٥/ ٥٩ ، ٦٠ ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ٣/ ٢٢٣ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الوسيط ٣/ ٥٣١ ، وزاد المسير ٧/ ٨٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ .

١٢٥. قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد كان لهم صنم يعبدونه[١] . وقال مقاتل : وكان من ذهبٍ ببعل بك[٢] من أرض الشام ، كسره إلياس ثم هرب منهم[٣] .

والأكثرون من المفسرين قالوا : البعل : الرب ، ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ : ربّاً ، وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة[٤] .

وروى قيس[٥] عن ابن عباس أنه سمع رجلاً وضلت له جارية وهو يقول : أنا بعلها .

قال ابن عباس : هذا من قول الله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾[٦] ، فالبعل الذي ذكره أهل اللغة بمعنى المالك والسيد والرب ، ومنه سمي الزوج بعلاً[٧] . ويقال أنا بعل هذه الدابة .

---

(١) انظر : بحر العلوم ٣/ ١٢٣ ، والقرطبي ١٥/ ١١٧ .

(٢) بعلبك : قال ياقوت : بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً .
انظر : معجم البلدان ١/ ٤٥٣ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٤) انظر : الطبري ١٣/ ٩١ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٣ ، والماوردي ٥/ ٦٤ ، وزاد المسير ٧/ ٨٠ ، والقرطبي ١٥/ ١١٧ .

(٥) قيس بن هبَّار وقيل ابن همَّام ، وقيل ابن هنَّام ، وقيل غير ذلك ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه سليمان التيمي . ذكره ابن حبان في الثقات وروى له النسائي .
انظر : تهذيب الكمال ٢٤/ ٨٥ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٠٥ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٠٥ .

(٦) هذه القصة ذكرها النحاس في معاني القرآن له ٦/ ٥٤ ، وسمع ابن عباس رجلاً ينشد ضالة فقال آخر أنا بعلها ؛ أي ربها . أما ما أُثبتَ في النسخ فيظهر أن فيه تصحيفاً إذ الكلام فيه اضطراب ، وذكرها كذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨٠ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (بعل) ٢/ ٤١٢ ، واللسان (بعل) ١١/ ٥٩ .

قال مقاتل : وهي بلغة اليمن[١] . ويمكن أنهم سموا صنمهم بعلاً لهذا المعنى ، فيكون في هذا جمع بين القولين في البعل .

قوله : ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ قال مقاتل : وتذرون عبادة أحسن الخالقين فلا تعبدونه[٢] .

١٢٦. قوله تعالى : ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ، قرئ بالرفع على الاستئناف لتمام الكلام الأول ، والمعنى : أنه خالقكم ورازقكم ، فهو الذي تحق له العبادة من دون من لا يبصر ولا يسمع ولا يغني عن أحد شيئاً . وقرئ بالنصب على صفة أحسن الخالقين ، ليكون الكلام فيه وجه واحد[٣] .

١٢٧. قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ، قال ابن عباس والمفسرون : لمحضرون النار غداً[٤] . وقد ذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[٥] .

١٢٨. قوله تعالى : ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المصدقين الذين لم يكذبوا ، فإنهم لا يحضرون النار .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٣أ ، وفي كتاب غريب القرآن لابن عباس ٦٢ . قال : هي بلغة حمير .

(٢) تفسير مقاتل ١١٣أ .

(٣) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٧٨ ، والحجة ٦/ ٦٣ ، والمبسوط في القراءات العشر ٣١٧ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧ . انظر : الطبري ٢٣/ ٩٤ ، والبغوي ٤/ ٤١ ، وزاد المسير ٧/ ٨١ .

(٥) آية (٥٧) من هذه السورة .

١٣٠. قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ قال ابن عباس : يريد إلياس ومن معه[١] . قال الفرَّاء : «إن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعاً ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله الأشعرين بالتخفيف والسعدين» ، قال :

أنا ابن سعد سيد السعدينا[٢]

قال : ويجوز أن تجعله واحداً بمنزلة إلياس ، والعجمي من الأسماء قد تفعل العرب به هذا ، تقول : ميكال وميكائيل وميكاين ، وهي في بني أسد ، يقولون : هذا إسماعين قد جاء ، بالنون ، وأنشدني بعض بني نمير :[٣]

هذا وربُّ البيتِ إسماعينا[٤]

ونحو هذا ذكر أبو إسحاق[٥] سواء ، واختار أبو علي القول الأول وشرحه فقال : «إلياسين جمع معنى واحده الإضافة بالياء ، نحن تميمي وبكري ، والقول فيه أن لا يخلوا لا من أن يراد به الجمع الذي على حد مسلم ومسلمون ، وزيد وزيدون ، أو الذي واحده يراد به النسب ، فمن البيِّن أنه لا يجوز أن يكون على

---

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٥٣٢ ، وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين لكنهم لم ينسبوه لابن عباس . انظر : الطبري ٢٣/ ٩٤ ، والماوردي ٥/ ٦٥ ، والقرطبي ١٥/ ١١٨ .

(٢) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ١٩١ ، وشرح المفضل ١/ ٤٧ ، والكتاب ٢/ ١٥٣ .

(٣) شطر بيت من الرجز وصدره :

يقول أهلُ الحيِّ لما جينا

ولم أقف على قائله . ففي المقاصد النحوية قال : هو الأعرابي ٢/ ٤٢٥ ، وكذا في المعاني الكبير ٢/ ٦٤٦ ، وسمط اللآلئ ٦٨١ .

يريد : إسماعيلاً فأبدل من اللام نوناً .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٢ .

حد مسلم ومسلمون ؛ لأنه ليس كل واحد منهم اسمه إلياس ، وإنما إلياس اسم نبيهم ، فإذا لم يكن على هذا علم أنه على إرادة النسب بالياء ، إلا أن الياءين حذفتا في جميع هذه الأسماء على التصحيح كما حذفت ياء النسب في التكسير ، وذلك نحو : المسامعة والمهالبة والمناذِرة ، وإنما هذا على أن كل واحد منهم مسمعي ومهلبي ، فحذف في التكسير الياءات كما حُذفت في التصحيح ، ومما يدل على ذلك قولهم : فارسي وفرس ، فليس الفرس جمع فارس وإنما هو جمع فارسي ، حذف منه ياء النسب ، ثم جمع الاسم بعد على حد باذلٍ وبدلٍ ، ونحو هذا قولهم : الأعجمون ، ألا ترى [أنه][(١)] لا يخلو من أن يكون جمع أعجم أو عجمي ، فلا يجوز أن يكون جمع أعجم ؛ لأن هذا الضرب من الآحاد التي هي صفات لا تجمع بالواو والنون ، كما أن مؤنثه لا يجمع بالألف والتاء ، لا يقال في الأحمر : الأحمرون ، فإذا لم يجز ذلك علم أنه جمع أعجمي ، وعلى هذا قالوا : النميرون والهبيرات[(٢)] ، وكذلك الياسين تقديره : الياسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم . قال : ولا يجوز أن يكون الياسين بمعنى إلياس ، نحو : ميكال وميكائيل ؛ لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد ، وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كإدريس وإدراسين[(٣)] ، وإلياس وإلياسين ، وفي حرف عبدالله بن سلام على إدراسين ، أراد إدريس ومن كان من شيعته وأهل دينه ، ولم يقل إدريسين ؛ لأن إدريس وإدراس كإبراهيم وإبراهام[(٤)] .

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .
(٢) في (ب) : (الهبرات) .
(٣) في (ب) : (إدريسين) .
(٤) في (ب) : (وإبرهام) .

وقرأ نافع : (سلام[١] على آل ياسين) ، وحجته أنها في المصحف مفصولة من يس ، ولو كانت الألف والنون واللام التي للتعريف أوصلت في الخط ولم تفصل ، فمن فصل ذلك في الكتاب دلالة على أن الذي تصغيره أهيل»[٢] .

واختار أبو عبيدة القراءة الأولى ، وقال : الياسين اسم إلياس ، مثل إبراهام في إبراهيم ، ألا تراه أنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان ، إنما جاء بالاسم وكذلك الياسين[٣] .

وقال الفرَّاء : القراءة الأولى أشبه بالصواب ؛ لأن في قراءة عبدالله : (وإن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين)[٤] .

والسدي يقول في إلياس والياسين : إنه إدريس[٥] .

قال الفرَّاء : «ويشهد على صواب القراءة الأولى قوله : ﴿مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون :٢٠] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين :٢] ، وهو في معنى واحد وموضع واحد»[٦] . فقد ظهر أن الصحيح قراءة العامة ؛ لأن إلياسين إنما هو بمعنى إلياس أو بمعنى إلياس وأتابعه ، وأريد به إدريس على ما ذكره عكرمة والسدي : فأما أن يكون الذي هو أل[٧] تصغير أهيل فهو مستبعد .

---

(١) في (ب) : (سليم) .

(٢) الحجة ٦/ ٦١ وما بعدها .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٧٢-١٧٣ . انظر : إعراب القرآن للنحاس :٣/ ٤٣٦ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٩٢ .

(٥) لم أقف على هذا القول عن السدي ، وهو منسوب لابن عباس . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ ، والماوردي ٥/ ٦٤ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٩٢ .

(٧) في (أ) : (الذي آل هو) وما أثبته هو الأنسب بالسياق .

وقد ذكر الكلبي في تفسيره ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ يقول : سلام على آل محمد . وهذا بعيد ؛ لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه[١] .

١٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ﴾ إذ لا يتعلق بما قبله ؛ لأنه لم يرسل وإن نجى ، ولكنه يتعلق بمحذوف كأنه قيل : واذكر يا محمد إذ نجيناه . وعند أبي عبيدة : إذ زائدة[٢] . وقد ذكر هذا في سورة البقرة .

وهذه الآيات مفسرة في سورة الشعراء[٣] إلى قوله : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ أي تمرون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام للتجارة على قراهم وآثارهم ومنازلهم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ أي نهاراً[٤] .

١٣٨ . قوله تعالى : ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ ، أي غدوة وعشياً ، تارة تمرون على ديارهم نهاراً وتارة ليلاً . وهي ما بين مكة والشام ، هذا قول ابن عباس ومقاتل[٥] . وتم الكلام هاهنا ، ثم قال : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون .

١٤٠-١٤٢ . قوله تعالى : ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ الكلام في إذ كما ذكرنا في القصتين قبل هذه . وأبق من إباق العبد ، وهو هربه من سيده ، قال مقاتل :

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٣ ، والوسيط ٣/ ٥٣٢ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٣ ، والبغوي ٤/ ٤١ ، والقرطبي ١٥/ ١١٩ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٦ ، وسبق أن لدينا خطأ القول أن في القرآن شيئاً زائداً .

(٣) الآيات (١٧٠-١٧١-١٧٢) . انظر : البسيط النسخة الأزهرية ٤/ ٨٤ب .

(٤) في (أ) : (أي نهاراً أي) ، وهو خطأ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ١١٣ب .

يعني إذ فر[١] . وقال عبدالله : عبد أبق من ربه ، ونحو هذا قال ابن عباس[٢] .

قال المفسرون : كان يونس قد وعد قومه العذاب ، فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمنشوز عنهم ، فقصد البحر وركب سفينة[٣] ، فذلك قوله : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ ونحو هذا قوله : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [الأنبياء :٨٧] ، وقد مر الكلام فيه مستقصى .

وقال أهل المعاني : يَفِرُ من ربه كما يَفِرُ العبد من سيده ؛ لأنه يعلم أن ربه يقدر عليه أين ما كان من بر وبحر ، ولكنه بذهابه إلى الفلك كالفار من مولاه فقال : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ فزع إليه[٤] .

قال المبرِّد : تأويل أبق تباعد ؛ أي ذهب[٥] إليه ، ومن ذلك قولهم : عبد آبق .

قوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ مفسر في سورة يس[٦] . قال مقاتل : يعني الموقر من الناس والدواب[٧] .

وقال سعيد بن جبير : ركب يونس السفينة في البحر حتى إذا توسطت بهم ركدت فتوقفت ، لا ترجع وراءها ولا تتقدم أمامها ، فقال أهل السفينة : إن لسفينتنا لشأناً . قال : قد والله[٨] عرفتُ شأنها . قالوا : وما شأنها . قال :

---

(١) تفسير مقاتل ١١٣ب .
(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٨ .
(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب ، والبغوي ٤/ ٤٢ .
(٤) لم أقف عليه .
(٥) انظر : القرطبي ١٥/ ١٢٢ ، وزاد المسير ٧/ ٨٦ .
(٦) آية ٤١ .
(٧) تفسير مقاتل ١١٣ب .
(٨) في (ب) : (قد عرفت والله شأنها) .

ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة . قالوا : ومن هو ؟ قال : أنا فاقذفوني في البحر من سفينتكم وانطلقوا لشأنكم ، قالوا : ما كنا لنطرحك من بيننا [حتى][(١)] نعذر في شأنك . قال : فاستهموا حتى تروا على من يقع السهم ، فاقترعوا بسهامهم فأدحض سهمه . قال : قد أخبرتكم ، فقذفوه منها[(٢)] ، فذلك قوله : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ ، وقال وهب : لما احتبست السفينة قال : هاهنا عبد أبق من سيده ، وهذا رسم السفينة إذا كان فيها لا تجري ، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس ، فقال : أنا الآبق وزج نفسه في الماء[(٣)] . قال المفسرون : ﴿فَسَاهَمَ﴾ : فقارع[(٤)] .

قال المبرِّد : وإنما أخذ من السهام التي تحال للقرعة[(٥)] .

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ ؛ أي المغلوبين[(٦)] المقروعين المسهومين ، قاله ابن عباس[(٧)] والمفسرون . قال ابن قتيبة : «يقال : أدحض الله حجته فدحضت ؛ أي أزالها فزالت»[(٨)] . وأصل الحرف من الدحض الذي هو الزلق يقال : دحضت رجل البعير إذا زلقت[(٩)] . قال سعيد بن جبير : لما استهموا في السفينة جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه ، حتى إذا قذفوه منها أخذه الحوت ، فذلك[(١٠)]

---

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن سعيد بن جبير ، وقد ورد بغير هذه الصيغة عن ابن عباس وطاووس . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٥٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢١ ، وعزاه لعبدالرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر عن طاووس ، ولابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب ، والبغوي ٤/ ٤٢ .

(٤) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٨ ، والماوردي ٥/ ٦٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٤ .

(٥) القرطبي ١٥/ ١٢٣ . انظر : تهذيب اللغة (سهم) ٣٦/ ١٣٨ .

(٦) في (ب) : (المقروعين المغلوبين) .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٤ ، والماوردي ٥/ ٦٧ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٧٤ .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (دحض) ٤/ ١٩٨ ، واللسان (دحض) ٧/ ١٤٨ .

(١٠) لم أقف عليه .

قولـــه : ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ . وقال النبـــي ﷺ : «لما أراد الله حبـــس يونس في بطن الحوت أوحى إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً»[١] .

وقال المفسرون في قوله : ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ : التهمه وابتلعه[٢] . يقال لقمت اللقمة وألقمتها غيري .

قوله : ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ، يقال : ألام إذا أتى ما يلام عليه[٣] .

قال مقاتل : يعني استلام إلى ربه[٤] .

وقال الكلبي : يقول مذموم[٥] .

وقال قتادة عن ابن عباس : مسيء[٦] .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : مذنب[٧] .

قال أهل المعـــاني : كان يونس قد خرج قبل أن يأمـــره الله ، وكان أذنب ذنباً استحق به التأديب ليستمر على طريقة التهذيب[٨] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٢٢٧ ، والطبري ١٧/ ٨٠ عن عبدالله بن الحارث .

(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٩ ، وبحر العلوم ٣/ ١٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (لأم) ١٥/ ٣٩٩ ، واللسان (لأم) ١٢/ ٥٣٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤أ .

(٥) انظر : الماوردي ٥/ ٦٧ . قال عن الكلبي : يلام على ما صنع .

(٦) انظر : الماوردي ٥/ ٦٧ ، وأورده النحاس في معاني القرآن ٦/ ٥٧ ، ونسبه لقتادة .

(٧) لم أقف عليه عن إسماعيل ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٦٧ عن ابن عباس ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٧٨ عن ابن قتيبة .

(٨) لم أقف عليه .

١٤٣-١٤٦ . قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَآ﴾ قال مقاتل : فلــولا أنه كان في الرخاء قبل أن يلتقمه الحــوت ، ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ يعنــي المصلين ، وكان في زمانه كثير الصلاة والذكر لله ، لولا ذلك ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ عقوبة [له][(١)(٢)] . وكان قبره إلى يوم يبعث[(٣)] الناس من قبورهم . ونحو ذلك قال الكلبي[(٤)] سواء .

وروى أبو زيد عن ابن عباس في قوله : ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من المصلين[(٥)] .

وقال قتــادة : كان يكثر الصلاة في الرخاء[(٦)] . وقــال الربيع بن أنس : كان خلاله عمل صالح للبث في بطنه[(٧)] .

وقال الضحاك بن قيس[(٨)(٩)] : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله ، فلما وقع في بطن الحوت قال الله : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤أ .

(٣) في (ب) : (يبعثون) .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٠ ، والماوردي ٥/ ٦٧ ، والبغوي ٤/ ٤٣ .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٠ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٢٦ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٠ ، والقرطبي ١٥/ ١٢٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢٥ ، وعزاه لأحمد في الزهد .

(٨) الضحــاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي . أبو أميــة وقيل أبو أُنيس ، وقيل أبو عبدالرحمن ، وقيل أبو ســعيد . من صغار الصحابــة ، روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب ، وحبيب بن مســلمة الفهري وغيرهم . وعنه حدَّث معاوية بن أبي سفيان ، وسعيد بن جبير ، والشعبي وغيرهم . خرَّج له النسائي ، شهد فتح دمشق وسكنها ، ومات مقتولاً في مرج راهط سنة أربع وستين .
انظر : الإصابة ٢/ ١٩٩ ، والاستيعاب ٢/ ١٩٧ ، وتهذيب التهذيب ١٣/ ٢٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤١ .

(٩) الهمزة ساقطة في (ب) .

مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ الآية . وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله فلما أدركه الغرق قال : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس :٩٠] قال الله : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ [يونس :٩١] الآية[١] .

وقال قتادة في الحكمة : إن العمل الصالح يرفع صاحبه كلما عثر وجد متكئاً[٢] .

وقال ابن جريج والسدي عن أبي مالك : لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً[٣] . وهو قول الكلبي[٤] .

وقال مقاتل بن حيان : ثلاثة أيام[٥] .

وقال عطاء : سبعة أيام[٦] . وقال الضحاك : عشرين يوماً[٧] .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ قال : يريد في بطن الحوت[٨] .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢٦ ، وعزاه لابن أبي شيبة .

(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ٩٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢٥ ، وعزاه لأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن قتادة .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦ ، والماوردي ٥/ ٦٨ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١٦ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦ ، والبغوي ٤/ ٤٣ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، والبغوي ٤/ ٤٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١٦ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، والبغوي ٤/ ٤٣ ، وزاد المسير ٧/ ٨٨ .

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : البغوي ٤/ ٤٣ .

وقال سعيد بن جبير : يعني قوله : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨٧](١) . فعلى هذا تسبيحه كان في بطن الحوت . وعلى القول الأول تسبيحه كان قبل ذلك .

قال الحسن : ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً(٢) . وقال : ولم يلبث إلا قليلاً وأخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه(٣) .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : «سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه . فقالوا : ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة . قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر . قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم . قال : فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت فقذفته في الساحل» فذلك قوله : ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾(٤) . يعني العراء : المكان الخالي .

قال أبو عبيدة : «وإنما قيل له العراء ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه ، وأنشد فقال :

فرفعتُ رجلاً لا أخافُ عِثارها ونبذتُ بالبلدِ العراءِ ثيابي»(٥)(٦)

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢/ ب ، مجمع البيان ٨/ ٧١٦ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢/ ب ، القرطبي ١٥/ ١٢٦ ، والبغوي ٤/ ٤٣ .

(٣) لم أقف عليه عن الحسن . وقد ذكر نحو هذا القول الماوردي ٥/ ٦٨ ، وقال : بعض يوم ، قال الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٢٧ ، وعن أنس بن مالك . وقد أورده السيوطي في الدر ٧/ ١٢٢ ، وعزاه لابن إسحاق والبزار وابن جرير عن أبي هريرة .

(٥) البيت من الكامل ، وهو لرجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ ، والقرطبي ١٥/ ١٢٩ ، والبحر المحيط ٧/ ٣٦٨ . وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ١٥٨ ، والطبري ٢٣/ ١٠١ .

(٦) مجاز القرآن ٢/ ١٧٥ .

وقال الليث : «العراء : الأرض الفضا التي لا تستر بشيء وثلاثة أعرية وأعراء الأرض ما ظهر من متونها وأنشد :

وبلدةٌ عاريةٌ أعراؤه[١]

يعني بارزه طهوره»[٢] .

وقال مقاتل : يقول البراري من الأرض التي ليس فيها نبت[٣] .

وقال الكلبي : يعني وجه الأرض[٤] .

وقال ابن حيان : يعني ظهر الأرض[٥] . وقال ابن عباس : يريد على ساحل قرية من الموصل[٦] .

قوله : ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ، قال : قد بلى لحمه وكل شيء منه مثل الصبي المولود[٧] . وقال ابن مسعود : [كهيئة الفرخ الممعط][٨] ليس عليه ريش[٩] . وقال مجاهد : ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ : مكتئب[١٠] .

---

(١) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله ، وهو في تهذيب اللغة ٣/ ١٥٩ ، واللسان (عرا) ١٥/ ٤٩ .

(٢) لم أقف على قول الليث . انظر : تهذيب اللغة ٣/ ١٥٩ ، واللسان (عرا) ١٥/ ٤٩ .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤أ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٣٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٧١٦ ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٢ب .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠١ ، وإلا أنه قال بالساحل دون ذكر المكان ، وكذا الماوردي ٥/ ٦٨ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) . ومعنى ممعط : قال في اللسان (معط) ٧/ ٤٠٥ : تمعط وأمعط : تمرط وسقط من داء يعرض له .

(٩) انظر : الماوردي ٥/ ٦٨ ، وزاد المسير ٧/ ٨٨ .

(١٠) لم أقف عليه .

وروى أنس عن النبي ﷺ قال : «أمر الله الحوت فلفظه كهيئة الصبي في أصل يقطينة ، وهي الدبا يستظل بظلها ، وهيأ الله له أروبة من الوحش تروح [عليه][(١)] بكرة وعشية ، فتفشـــخ عليه فيشرب من لبنها حتى نبت اللحم» فذلك[(٢)] قوله : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ .

قال أبو عبيدة[(٣)] والمبرِّد[(٤)] والزَّجَّاج[(٥)] وابن قتيبة[(٦)] : كل شجرة لا تقوم على ســـاق وإنما تمتد على وجه الأرض ، فهو يقطين ، نحو الدباء والحنظل والبطيخ . قال أبو إسحاق : وأحسب اشـــتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به ، وهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض فلذلك قيل يقطين[(٧)] .

وقال ابن قتيبة : وزنه تفعيل[(٨)] .

قال الفرَّاء : «قيل عند ابن عباس : هو ورق القرع ، فقال : ومن جعل القرع من بين الشجر يقطيناً كل ورقة اتسعت وسترت [فهي][(٩)] يقطين»[(١٠)] .

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن أنس ، وقد أخرجه الطبري : في تفسيره ٢٣/ ١٠٣ عن أبي هريرة ، وأورده الثعلبي في تفسيره ٥/ ٢٥٣أ عن مقاتل بن حيان .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٧٥ .

(٤) انظر : القرطبي ١٥/ ١٢٩ ، وفتح القدير ٤/ ٤١١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٧٥ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٧٥ .

(٩) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(١٠) معاني القرآن ٢/ ٣٩٣ .

قال مقاتل : يعني القرع يأكل منها ويستظل بها[١] . وهو قول ابن مسعود[٢] ومجاهد[٣] . وكل شيء ذهب بسطاً في الأرض يقطين .

قال الكلبي : ومنه القرع والبطيخ والقثاء والشرى[٤] .

وقال سعيد بن جبير : كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين[٥] .

والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون ؛ أحدهما : أن هذا اليقطين لم يكن قبل فأنبته الله لأجله ، والآخر : أن اليقطين كان [معروشاً ليحصل][٦] له ظل ؛ لأنه لو كان منبسطاً على الأرض لم يكن أن يستظل به . وقد قال أمية بن أبي الصلت في هذه القصة :

وأنبتتْ يقطيناً عليهِ برحمةٍ ... منَ اللهِ لولا اللهُ أُلقي ضاحيا[٧]

١٤٧. قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قال مقاتل : وأرسلناه قبل أن يلتقمه الحوت[٨] . وعلى هذا الإرسال وإن ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم ، والواو معناها الجمع ، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين أو الأشياء قبل الآخر .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٤أ .

(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٥٩ .

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٥ ، وانظر : الطبري ٢٣/ ١٠٣ .

(٤) لم أقف على هذا القول عن الكلبي . انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، والثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٥٩ .

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٧) البيت من الطويل ، وهو لأمية بن أبي الصلت في الطبري ٢٣/ ١٠٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧ ، والبحر المحيط ٧/ ٣٦٠ ، وزاد المسير ٧/ ٨٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١٥ ، ولم أجده في ديوانه ، ومعنى ضاحياً . قال في اللسان :/ ٤٧٧ (ضحا) : ضحا الرجل ضحْواً وضُحُواً وضُحِيًّا برز الشمس .

(٨) تفسير مقاتل ١١٤أ .

وروي عن ابن عباس أنه قال : كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت[١] . وعلى هذا يجوز أنه أرسل إلى قوم آخرين سوى القوم الأُوَلْ ، ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين ثانياً بشريعة فآمنوا بها . وقوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال أبو عبيدة : (أو هاهنا ليس بشك ، وقالوا هي في موضع الواو ، وأنشد لجرير :

أثعلبةُ الفوارسِ أو رياحا عدلتْ بهم طُهيَّة والخشابا[٢]

[وأيضاً][٣] :

[إن] بها أكتلَ أو رزاما خُوَيربين ينفقان إلهاما[٤]

قال : ولو كان شكاً ما قال خويربين وإنما هو أكتل ورزام)[٥] .

---

(١) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٥ ، والماوردي ٥/ ٦٩ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٠ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لجرير في ديوانه ٨١٤ ، والكتاب ١/ ١٠٢ ، ٣/ ١٨٣ ، ولسان العرب (خشب) ١/ ٣٥٥ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٤٨-١٧٥ ، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ٣/ ١١٣٨ .
قوله : أثعلبة أراد بها قبيلة ، ورياحاً أراد بها أيضاً قبيلة ، وهي رياح بن يربوع . وطُهيَّة حي من تميم ، والخشابا أيضاً قبيلة .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٤) الرجز لرجل من بني أسد في الكتاب ٢/ ١٤٩ ، والأزهية ١١٦ ، وبلا نسبة في الكامل ٢/ ٧٥٤ ، ولسان العرب (كتل) ١١/ ٨٥٨٢ ، ومغني اللبيب ١/ ٦٣ .
وأكتل ورزام لصان كان يقطعان الطريق ، والخويرب تصغير خارب ، وهو اللص أو سارق الإبل خاصة ، والهام جمع هامة وهي الرأس . وينفقان إلهاماً ؛ أي يستخرجان الدماغ والمخ ، وهذا مثل ضربة لحذقهما بالسرقة . شرح الكتاب لعبدالسلام هارون ٢/ ١٤٩ .
والشاهد فيه أن خويربين انتصبا على الشتم ولو كان على إنَّ لقال خويربٌ لكنه انتصب على الشتم .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٧٥ .

وقال ابن الأحمر :

ألا فالبثا شهرينِ أو نصفَ ثالثٍ إلى داكما مـــا غيبتنـــي غيابيا[١]

وهذا قول قطرب واختيار أبي قتيبة فقال : «أو ربما كانت بمعنى واو النسق كقوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات :٦] وقولـه : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه :٤٤] ، وقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه :١١٣] . قال : وهذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق . قال : ونحو هذا قال : ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل :٧٧] ، وقوله[٢] : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم :٩] ، وقال : وبعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل في هاتين الآيتين وفي قوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ على مذهب التدارك ، وليس كما تأولوا ، وإنما هي في جميع هذه المواضع بمعنى واحد : ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ، وأنشد بيت ابن الأحمر الذي أنشده أبو عبيدة ، وقال : هذا البيت يوضح لك معنى الواو ؛ لأنه أراد شهرين ونصف شهر ثالث»[٣] .

---

(١) البيت من الطويل وهو لابن أحمر في ديوانه ١٧١ ، والأزهية ١١٥ ، وخزانة الأدب ١١/ ٧١ .
والشاهد فيه قوله : فالبثا شهرين أو نصف ثالث ، يريد إلبثا شهرين ونصف ثالث فجاءت أو بمعنى الواو .

(٢) في (أ) : (وكان) ، وهو خطأ .

(٣) تأويل المشكل ٤٤٣-٤٤٥ .

وقال الفرَّاء : أو هاهنا بمعنى بل كذلك جاء في التفسير مع صحته في العربية[١] . وهذا الذي قاله الفرَّاء قول مقاتل[٢] والكلبي[٣] . وأنكر البصريون القولين[٤] جميعاً .

قال الأخفش في قوله : ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ يقول : كانوا كذلك عندكم[٥] .

وشرحه الزَّجَّاج فقال : «معناه : أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة . وهذا هو القول ؛ لأنه على أصل أو . وقال : ولا يجوز أن تكون بمعنى الواو ؛ لأن الواو للاجتماع وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر ، وأو معناها إفراد أحد الشيئين أو أشياء»[٦] .

وزاد أبو الفتح الموصلي بياناً لمذهب البصريين فقال : «ومعناه : وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموه قلتم أنتم فيهم هؤلاء مائة ألف أو يزيدون ، فهذا الشك إنما دخل في الكلام على حكاية قول المخلوقين ؛ لأن الخالق جل جلاله لا يعترضه الشك في شيء من خبره ، ومثل هذا في المعنى كثير في التنزيل كقوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩] ، وقوله : ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف :٤٩] ، وقالوا هذا بعد إيمانهم وتقديره : يا أيها الساحر عند أولئك الذين يدعونك ساحراً»[٧] ، وقد ذكرنا قبل هذا في مواضع من هذا الكتاب .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤أ .

(٣) لم أقف على هذا القول عن الكلبي ، وهو قول يروى عن ابن عباس . انظر : الماوردي ٥/ ٦٩ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٢ .

(٤) في (أ) : (القول) .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٩١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤ .

(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٦ .

قال أبو الفتح : «ألطف وأوضح من قول قطرب أن أو بمعنى الواو»[(١)] . قال الفرَّاء[(٢)] : إن أو بمعنى بل .

وقال المبرِّد : «معناه أرسلناه إلى مائة ألف ؛ فهم فرضه الذي عليه أن يؤديه ، فإن زاد بالأولاد فعليه أيضاً دعاؤهم نافلة غير فرض»[(٣)] .

واختلف المفسرون في الزيادة على المائة ألف . فقال الكلبي ومقاتل : يزيدون عشرين ألفاً ، وهو قول السدي[(٤)] . وروى مولى لابن عباس عنه قال : مائة ألف وبضعة[(٥)] وثلاثون ألفاً[(٦)] . وهو قول الحسن والربيع[(٧)] .

وقال سعيد بن جبير : يزيدون سبعين ألفاً[(٨)] .

١٤٨. قوله تعالى : (فآمنوا) بمعنى : المائة ألف والزيادة الذين أرسل إليهم يونس ، آمنوا أي صدقوا بتوحيد الله ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ، متعناهم في الدنيا إلى منتهى آجالهم . قاله ابن عباس[(٩)] ، وقتادة[(١٠)] ، ومقاتل[(١١)] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤ .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن المبرِّد . وقد ذكر النحاس في معاني القرآن ٦/ ٦١ ، وقول المبرِّد : وقال محمد بن يزيد (أو) على بابها ، والمعنى أرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم مائة ألف أو أكثر .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤أ ، ولم أقف عليه عن الكلبي والسدي . وقد ذكره أكثر المفسرين منسوباً لابن عباس ولأبي ـ رضي الله عنهم ـ جميعاً . انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٤ ، والماوردي ٥/ ٧٠ ، وابن كثير ٤/ ٢٢ .

(٥) في (ب) : (تسعة) .

(٦) انظر : زاد المسير ٧/ ٩٠ ، وابن كثير ٤/ ٢٢ .

(٧) انظر : القرطبي ١٥/ ١٣٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١٧ ، والبغوي ٤/ ٤٤ .

(٨) انظر : الماوردي ٥/ ٧٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧ ، والبغوي ٤/ ٤٤ .

(٩) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩ .

(١٠) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٧ ، والطبري ٢٣/ ١٠٥ .

(١١) تفسير مقاتل ١١٤أ .

١٤٩. قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ قال ابن عباس[١] ومقاتل[٢]: فاسئل أهل مكة. قال أبو إسحاق: فسألهم مسألة توبيخ وتقرير[٣].

قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ في والنجم وهو قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ [النجم: ٢١] الآية[٤].

قوله: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ قال المفسرون: وذلك أن قريشاً وأحياء من العرب: جهينة[٥] وبني سلمة[٦] وخزاعة[٧] وبني مليح[٨]، قالوا: الملائكة بنات الله[٩]. قال الكلبي: لا يرضى أحدكم أن يكون له بنت، فكيف يرضى لله ما لا يرضى لنفسه[١٠]؟

١٥٠. قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون حاضرون خلقنا إياهم، كقوله:

---

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩.

(٢) تفسير مقاتل ١١٤أ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٤.

(٤) تفسير مقاتل ١١٤أ.

(٥) جهينة: من قبائل الحجاز العظيمة، تمتد منازلها على الساحل من جنوبي دير بلى حتى ينبع، وجهينة بن زيد: حي عظيم من قضاعة من القحطانية، ومساكنهم ما بين ينبع ويثرب في متسع من برية الحجاز. معجم قبائل العرب ١/ ٢١٤.

(٦) بنو سَلِمة: بفتح السين وكسر اللام، بطن من الخزج من القحطانية، وهم بنو سَلِمة ابن سعد بن علي بن راشد.
انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٧٠.

(٧) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، وهم بنو عمر بن ربيعة، ومنازلهم بأنحاء مكة في مرِّ الظهران وما يليه. معجم قبائل العرب ١/ ٣٣٨.

(٨) بنو مليح: كزبير حيٌّ من خزاعة، وخزاعة قبيلة من الأزد من القحطانية.
انظر: معجم البلدان ١/ ٣٣٨.

(٩) انظر: تفسير مقاتل ١١٤أ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ، والقرطبي ١٥/ ١٣٣.

(١٠) لم أقف عليه عن الكلبي. انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٩.

﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ [الزخرف :١٩] ، ثم وهذا إنكار عليهم يقول : كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ؟

١٥١ـ١٥٢ . ثَمَّ أخبر عن كذبهم فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ يعني حين زعموا أن الملائكة بنات الله ، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم .

١٥٣ . قوله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ قراءة العامة بفتح الهمزة وقطعها من أصطفي على معنى أأصطفي ثم يحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقريع ، كقوله : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [الزخرف :١٦] ، وقوله : ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور :٣٩] ، وقوله : ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم :٢١] . فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك [في][1] هذه الآية . وقرأ نافع في بعض الروايات : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ ، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ ، ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ ، ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ موصولة بغير استفهام . وإذا ابتدأ كَسَر الهمزَة على وجه الخبر كأنه اصطفى البنات في ما يقولون ، كقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان :٤٩] ؛ أي في ما كنت تقوله وتذهب إليه ، وكقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر :٦] ؛ أي في ما يقول هو ومن يتبعه .

ويجوز أن يكون اصطفى تفسيراً لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم : ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ، كما أن ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾[2] تفسير للوعد[3] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط في (ب) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٩ . قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(٣) في (أ) : (للوعيد) .

ويجوز أن يكون قوله : ﴿أَصْطَفَى﴾ متعلقاً بقوله : ﴿لَيَقُولُونَ﴾ على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر ، واستغنى بها في الجملة الثانية من الاتصال بالأولى عن حرف العطف كقوله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف :٢٢] ، ونحو ذلك مما حذف حرف العطف منه لالتباس[١] الثانية بالأولى . ذكر هذه الوجوه أبو علي ثم قال : وغير الاستفهام ليس باتجاه الاستفهام)[٢] .

وذكر الفرَّاء وجهاً آخر وهو : أنه أراد الاستفهام ، وحذف حرف الاستفهام كقوله : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الأحقاف :٢٠] ، قرئ بالاستفهام ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ وقرئ بغير حرف الاستفهام ومعناهما جميعاً [واحد][٣][٤] .

١٥٤ـ١٥٥ . قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ لهم على قولهم الكذب .

قال مقاتل : كيف تقصون الجور حين تزعمون أن لله البنات ولكم البنون ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنه لا يختار البنات على البنين[٥] .

وقال ابن عباس : أفلا تتعظون ، يعني فتنتهون عن هذا القول[٦] .

---

(١) في (أ) : (للالتباس) .
(٢) الحجة ٦/ ٦٤ ، ٦٥ .
(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤ .
(٥) تفسير مقاتل ١١٤أ .
(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٧ .

١٥٦. قوله تعالى : ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ [قال مقاتل][(١)] : يعني ألكم[(٢)] ﴿سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ . قال ابن عباس : حجة بينة[(٣)] أنما قلتم كما قلتم[(٤)] .

١٥٧. قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ يريد الذي لكم فيه الحجة ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم الملائكة بنات الله .

١٥٨. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ ، اختلفوا في الجنة وفي هذا النسب الذي جعلوه ، فروى السدي عن أبي صالح قال : الجنة : الملائكة[(٥)] . وروى عن أبي مالك قال : إنما سموا الجنة لأنهم كانوا على الجنان[(٦)] .

وقال مقاتل : جعلوا نسباً بين الرب والملائكة حين زعموا أنهم بنات الله[(٧)] . وعلى هذا القول الجنة هم الملائكة ، سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار ، أو لأنهم خُزَّان الجنة كما ذكر السدي ، وقال الكلبي : قالوا -لعنهم الله- تزوج من الجن فخرج منها الملائكة . تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[(٨)] .

---

(١) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) هكذا في النسخ ، ويظهر أن هناك سقطاً ولعل تقديره حتى يكون المعنى واضحاً : حجة بينة على أنما قلتم كما قلتم .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي ٨/ ٧٠ عن ابن قتيبة ، وأورده بعض المفسرين غير منسوب . انظر : بحر العلوم ٣/ ١٢٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٧١٨ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٤ .

(٥) انظر : تفسير السدي ٤٠٦ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٤ .

(٦) انظر : القرطبي ١٥/ ١٣٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٣٤ ، وعزاه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن أبي مالك ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٣١ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ ، والبغوي ٤/ ٤٤ ، وزاد المسير ٧/ ٩١ .

وقال قتادة : قالوا صاهر الجن ، والملائكة من الجن[١] . فذلك قوله : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ . وقال مجاهد : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : سروات[٢] الجن[٣] . وعلى هذا القول : الجنة أولاد الجن ، والنسب هو المصاهرة . وروي قول آخر عن الحسن ، قالوا : أشركوا الشيطان في عبادة الله ، فهو النسب الذي جعلوه[٤] . يعني أنهم عبدوه مع الله وأطاعوه وكأنهم جعلوه نسباً لله ، حيث اعتقدوا طاعته . وفيه بعد .

والاختيار القول الأول ، وهو قول الفرَّاء[٥] وأبي إسحاق[٦] ، يدل عليه ما بعده من قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ؛ أي قد علمت الملائكة أن الذي قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون . قاله مقاتل[٧] ، وعطاء[٨] ، والفرَّاء ، وأبو إسحاق ، والكناية في قوله : إنهم تعود على الكفار الذين قالوا هذا القول وجعلوا هذا النسب ، وعلى القول الأول الكناية تعود على الجِنَّة ، والمعنى : ولقد علمت الجِنة أنهم سيحضرون الحساب .

قال مجاهد : والتأويل أنه لو كان كما قال الكفار من أن بين الله وبينهم نسباً ما أحضروا الحساب ، وإحضارهم للحساب دليل على أنه لا نسب بينه وبينهم[٩] ، كما قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة :١٨] ، يعني : أن تعذيبه إياكم يدل على أنكم لستم كما تقولون .

---

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٧ ، والطبري ٢٣/ ١٠٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٦٥ .

(٢) يعنون أشرافهم .

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٦ . انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣أ .

(٤) انظر : الماوردي ٥/ ٧٠ ، والبغوي ٤/ ٤٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٥ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٥ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٨) لم أقف عليه عن عطاء ، وأورده الطبري في تفسيره ٢٣/ ٨ ، وعن السدي .

(٩) لم أقف عليه ، وقد ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٣١ قريباً من هذا القول عن مجاهد .

١٥٩-١٦٠ . ثم نزَّه نفسه عما قالوا من الكذب ، فقال : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ يعني الموحدين ، الذين استخلصهم الله لتوحيده وعبادته ، وهذا من المؤخر الذي يراد به التقديم ؛ لأنه استثناء من المحضرين بقول : أُعلِموا أنهم محضرون النار إلا من أخلص ووحد . وفي هذه الآية دليل على صحة القول الأول في قوله : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ . وروي عن ابن عباس : إلا عباد الله المخلصين فإنهم لا يجعلون لله صاحبة ولا ولداً[١] . وعلى هذا الاستثناء منقطع وفي الكلام محذوف يدل على ما قبله .

١٦١-١٦٢ . ثم خاطب كفار مكة بقوله : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ معنى الفتنة هاهنا الإضلال في قول جميعهم .

قال الفرَّاء : وأهل الحجاز يقولون : فتنت الرجل ، وأهل نجد أفتنته[٢] . ويدل على أن المراد بالفتنة الإضلال قوله : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ قال الزَّجَّاج : ما أنتم عليه بمضلين إلا من أضله الله[٣] ، ويقال : أضله على الشيء كما يقال أضله به . وبعضهم يجعل على هاهنا بمعنى الباء ، قال مقاتل : يقول ما أنتم بمضلين أحداً بآلهتكم إلا من قدَّر الله له أن يصلى الجحيم وكتب عليه الضلالة[٤] ، وهذا قول ابن عباس[٥] ، جميع المفسرين ، وكان عمر بن عبدالعزيز يحتج في إثبات القدر بهذه الآيات ، ويقول : لو أراد الله أن لا يُعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة ،

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٩٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١٠٩ ، والماوردي ٥/ ٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٦٧ .

ثـــم يقرأ[١] هذه الآيـــات[٢] ، يعني أن الله تعالى قد بيَّن أن قضاءه ســـبق في الدنيا ويعبدون الأصنام .

١٦٤ـ١٦٦ . قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، هذا إخبار عن قول جبريل للنبـــي ﷺ . قال مقاتل : ثم قال جبريل للنبي ﷺ : وما منا معشر الملائكـــة إلا له مقام معلوم في الســـموات يعبد الله فيه[٣] ، ونحو هذا قال الكلبي[٤] . وروى عطاء عن ابن عباس : وقالت الملائكة وما منـــا إلا له مقام معلوم[٥] ، وقد حذف عـــلى النظم قائل هذا القول .

وقال أبو إســـحاق : «هذا قول الملائكة وفيه مضمر ، المعنى : ما منا ملك إلا له مقام معلوم»[٦] .

وروى مسروق عن عائشة قالت : قال نبي الله ﷺ : «ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ســـاجد أو قائم فذلك قـــول الملائكة : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ

(١) في (ب) : (تلا) .

(٢) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣ب ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٣٤ ، وعزاه لعبد بن حميد ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٤) انظر : زاد المسير ٧/ ٩٣ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/ ١٣٧ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦ .

﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾[١]» . ونحو هذا قال ابن عباس[٢] ، وابن مسعود[٣] .

وقال الكلبي : صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض[٤] .

وقال قتادة : هم الملائكة صفوا أقدامهم[٥] .

قال ابن عباس : وإنا لنحن الصافون في التهليل والتسبيح والتكبير[٦] . وكان عمر -رضي الله عنه- إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم واستووا ، إنما يريد الله بكم هدي الملائكة ، ثم يقرأ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾[٧] . قال الكلبي[٨] ومقاتل[٩] : المصلون .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٣٢ عن عائشة ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١٣٥ ، وقال : أخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن عائشة .
وللحديث طريق آخر عن أبي ذر ، أخرجه الترمذي في سننه أبواب الزهد ، باب ما جاء في قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ٣/ ٣٨٠ رقم ٢٤١٤ ، وقال : وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وأنس ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الزهد ، باب الحزن والبكاء ٢/ ٤٢٤ رقم ٤٢٤٣ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٧٣ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣ب ، والبغوي ٤/ ٤٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٧ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٧٢ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٧ .

(٤) انظر : البغوي ٤/ ٤٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٧ ، وزاد المسير ٧/ ٩٣ .

(٥) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٣ ، والبغوي ٤/ ٤٥ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٧ .

(٦) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٢ .

(٧) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٢ ، وابن كثير ٤/ ٢٤ ، وزاد المسير ٧/ ٩٣ .

(٨) لم أقف عليه عن الكلبي وبعض المفسرين ينسبه لقتادة . انظر : الماوردي ٥/ ٧٣ ، والقرطبي ١٥/ ١٤٠ .

(٩) تفسير مقاتل ١١٤ب .

وقال أبو إسحاق : الممجدون الله الذين ينزهونه عن السوء[١] .

وقال مقاتل : يخبر جبريل النبي ﷺ بعبادتهم لربهم فكيف عبدهم كفار مكة[٢] . يعني أن جبريل أخبر أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح ، وأنهم عباد الله ليسوا بمعبودين ، ولا بنات الله كما زعمت الكفار .

١٦٧-١٧٠ . ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين ، فقال : ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ يعني وأنهم كانوا ليقولون : ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ . قال السدي : قالوا لو أن عندنا كتاباً من كتب الأنبياء[٣] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ . وقال الكلبي : يقولون لو أتانا نبي كما أتى اليهود والنصارى لكنا عباد الله[٤] .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد قرآناً من لدن إبراهيم وإسماعيل[٥] . وقال أبو إسحاق : كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾[٦] ، وعلى هذا في الآية مضاف مقدر على تقدير ذكر من الكتب الأولين .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٣ ، وتفسير السدي ٤٠٧ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٩ .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد أورد الطبري في تفسيره ٢٣/ ١١٣ نحوه عن قتادة ، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ١٣٨ ، ولم ينسبه .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أورد الطبري في تفسيره ٢٣/ ١١٣ نحوه عن السدي والضحاك ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٩٣ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦ .

وقال مقاتل : يعني خبر الأمم الخالية كيف أهلكوا وما كان أمرهم ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾[١] ، ولا يحتاج على هذا إلى تقدير المضاف . والقول هو الأول ؛ لقوله عز وجل : ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام :١٥٧] ، قال الله تعالى : ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ المعنى : فجاءهم ما طلبوا فكفروا به . قال الزَّجَّاج : فلما جاءهم كفروا به[٢] .

وقال الفرَّاء : «المعنى : وقد أرسل إليهم محمداً بالقرآن فكفروا به ، وهو مضمر لم يذكر ؛ لأن معناه معروف مثل قوله : ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف :١١٠] ، وهذا من قول الملأ ، ثم قال : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ، فوصل قول فرعون بقولهم ؛ لأن المعنى بيِّن»[٣] . قال قتادة[٤] : وهذا كقوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة :٨٩] . وقال مقاتل : يقصُّ الله في القرآن خبر الأولين فكفروا بالقرآن ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد القتل ببدر[٥] . وقال ابن عباس : يريد تهديداً[٦] .

وقال أبو إسحاق : فسوف يعلمون مغبة كفرهم وما نُنْزِل بهم من العذاب في الدنيا والآخرة[٧] .

١٧١-١٧٢ . ثم ذكر أن العاقبة للأنبياء بالنصر وإن كذبهم قومهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ؛ أي تقدم الوعد بأن الله ينصرهم بالحجة وبالظفر بعدوهم . قال مقاتل : يعني بالكلمة : ﴿كَتَبَ

(١) تفسير مقاتل ١١٤ب .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦ .
(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٩٥ .
(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٥٩ ، والطبري ٢٣/ ١١٣ .
(٥) تفسير مقاتل ١١٤ب .
(٦) لم أقف عليه .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٦ .

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِي﴾ [المجادلة :٢١] ، فهذه الكلمة التي سبقت للمرسلين[١] .

١٧٣. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ؛ أي ضرب الله لهم الغلبة . فإن قيل : كيف سبقت الكلمة بالنصر لهم مع أن الأنبياء من قبل[٢] أو هزم أحزابهم ، قيل : بعض المفسرين يذهب إلى أن الغلبة بالحجة ، وهو مذهب السدي[٣] ، وبعضهم يذهب إلى أن العاقبة لهم بالنصر على من ناوأهم ، ولم يقتل نبي في معركة حرب[٤] . وقيل هذه النصرة هي أن الأنبياء وأتباعهم ينجون من عذاب الدنيا والآخرة ، وهذا مذهب مقاتل بن سليمان[٥] .

١٧٤. قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال ابن عباس[٦] ، ومقاتل[٧] : يعني القتل ببدر . وهو قول مجاهد[٨] ، والسدي[٩] . وقال الكلبي : يعني فتح مكة[١٠] . وقال قتادة : إلى الموت[١١] . قال عطاء عن ابن عباس ومقاتل : هذه منسوخة بآية السيف[١٢] .

---

(١) تفسير مقاتل ١١٤ب .
(٢) يظهر أن هنا كلمة ساقطة تُقَدَّر : هزموا أو هزم أحزابهم .
(٣) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٤ ، والماوردي ٥/ ٧٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٢١ .
(٤) وهذا القول ينسب للحسن . انظر : القرطبي ١٥/ ١٣٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٢١ .
(٥) تفسير مقاتل ١١٤ب .
(٦) انظر : القرطبي ١٥/ ١٣٩ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ .
(٧) تفسير مقاتل ١١٤ب .
(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٥٣ب ، ومجمع البيان ٨/ ٧٢١ .
(٩) انظر : الطبري ٢٣/ ١١٥ ، والماوردي ٥/ ٧٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٧٢١ .
(١٠) انظر : بحر العلوم ٣/ ١٢٦ ، وأورده القرطبي ١٥/ ١٣٩ ، ولم ينسبه لأحد .
(١١) انظر : الماوردي ٥/ ٧٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠ ، والقرطبي ١٥/ ١٣٩ .
(١٢) انظر : الناسخ والمنسوخ من كتاب الله ، لِـهِبَةِ الله بن سلامة المقري ١٤٧ ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزي ٤٦ .

١٧٥-١٧٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ قال ابن عباس : انتظر بهم[١] .

وقال مقاتل : أبصرهم إذا نزل بهم[٢] . ويقال : أبصره إذا نصرناك عليهم . ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك . قال مقاتل : فقالوا متى هذا العذاب تكذيباً به[٣] ، فأنزل الله : ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ ، الساحة متسع الدار ، وجمعها سوح ، كالبوح في جمع الباحة ، ومنه قول الشاعر :

. . . . . واغبرت البوح[٤]

يصف قحطاً وأوله : وكان سيّان أن لا يسرحوا نعما أو يسرحوا بهما .

قال ابن عباس : نزل بديارهم[٥] .

وقال مقاتل : يعني بحضرتهم[٦] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٣) تفسير مقاتل ١١٤ب .

(٤) جزء من بيت وتمامه :

فكان سِيّان أنْ لا يَسْرحوا نَعَماً أو يَسْرحوه بها واغْبرَّتِ البوحُ

وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١٠٧ ، وخزانة الأدب ٥/ ١٣٧ ، وشرح أشعار الهذليين ١٢٢ ، ولسان العرب (سوا) ١٤/ ٤١٢ ، وبلا نسبة في الخصائص ١/ ٣٤٨ ، ٢/ ٤٦٥ ، ومغني اللبيب ١/ ٦٣ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، ونسبه الطبري ٢٣/ ١١٦ للسدي . وأورده النحاس في معاني القرآن ٦/ ٦٩ ، والقرطبي ١٥/ ١٤٠ ، ولم ينسباه لأحد .

(٦) تفسير مقاتل ١١٥أ .

وقال الفرَّاء[١] ، والزَّجَّاج[٢] : «نزل بهم ، والعرب تجتزئ بالساحة والعقوة[٣] من القوم ، يقال : نزل بك العذاب وبساحتك سواء» .

قوله : ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ؛ أي بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب ، وفيه مضمر ، كأنه قيل : فساء الصبح صباحهم ، وذلك أنهم يصبحون في العذاب معذبين . وخص الصباح هاهنا بالذكر من بين الأوقات ؛ لأن العرب كانت تصبحهم الغارة فيقول قائلهم : واصباحاه واسوء صباحاه ، ويسمون الغارة : الصباح ؛ لأنها توافق الصباح ، وذلك أنهم يعتقدون[٤] من يقصدون بالغارة في ذلك الوقت ، فجرى اسم الصباح على الغارة ، والذي ينزل به الغارة ينادي واسوء صباحاه ، وإن لم يكن في وقت الصباح كذلك هؤلاء إذا نزل بهم العذاب ؛ قيل في وصفهم ساء صباحهم . ثم ذكر ما سبق تأكيداً لوعيد العذاب فقال : ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، يقول : أعرض عنهم إلى تلك المدة .

١٧٩. قوله تعالى : ﴿وَأَبْصِرْ﴾ العذاب إذا نزل بهم . ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ .

١٨٠. ثم نزَّه نفسه عن شبههم[٥] ووصفهم بقوله : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ؛ أي الغلبة والقوة[٦] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٦ ، والكلام بنصه هنا منقول عن الفرَّاء .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٧ .

(٣) عقوة الدار : ساحتها وما حولها . انظر : اللسان (عاق) ٣/ ٢٩ .

(٤) هكذا جاءت في النسخ ، ولعله تصحيف ، والصواب (يتعمدون) .

(٥) حرف الشين ساقط في (ي) .

(٦) هكذا جاء في الكلام في النسخ ، وفيه اضطراب ، ولابد من تقدير كلمة ، وهي : العزة ، وهكذا جاءت في الوسيط ٣/ ٥٣٥ .

قال عطاء[١] : يريد سـيُعِزُك وأصحابَكَ عما يصفون الله به من اتخاذ البنات والنساء[٢] يقولون من الكذب .

١٨١. قوله تعالى : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن عباس[٣] ، ومقاتل[٤] : يريد الذين بلغوا عن الله التوحيد ورسالاته وقاموا بدينه .

١٨٢. قوله تعالى : ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس : الحمد لي وأنا إله الأولين والآخرين[٥] .

وقال الكلبي[٦] : الشكر لله على هلاك المشركين ، وهو قول مقاتل[٧] .

وقال أهل المعاني[٨] . الحمد لله بإحسانه بكل أفاعيله .

* * *

(١) لم أقف عليه .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (وما يقولون) .

(٣) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨٠ ، وأورد القول غير منسوب البغوي في تفسيره ٤٥/ ٤٦ ، والقرطبي ١٥/ ١٤٢ .

(٤) تفسير مقاتل ١١٥أ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي . انظر : البغوي ٤/ ٤٦ ، والقرطبي ١٥/ ١٤٢ ، وزاد المسير ٧/ ٩٥ .

(٧) تفسير مقاتل ١١٥أ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٥ ، ولم أقف عليه عند غيره من أهل المعاني .